وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي

MINISTÈRE DE L'ENSEIGNEMENT SUPERIEUR ET DE LA RECHERCHE SCIENTIFIQUE

ⴰⵢⵏⵣⵎⵉⵙⵏⵜⵉⵏⵜⵉⵏⵜⵉⵣⵣⵓⵉⵔⵉⵜⵉⵙⵉⵏⵜⵉⵙⵙⵏⵉⵜⵉⵏ

ⵜⴰⵎⴰⵡⴰⵙⵜⵉⵏⵜⵉⵣⵡⵔⵓ

جامعة مولود معمري – تيزي وزو

كلية الآداب واللّغات

قسم اللّغة العربية وآدابها

UNIVERSITÉ MOULOUD MAMMERI DE TIZI–OUZOU

FACULTÉ DES LETTRES ET DES LANGUES

Département de Langue et littérature Arabes

مذكرة تخرّج لنيل شهادة الماستر

الميدان: لغة وأدب عربي.

الفرع: أدب عربي

التّخصّص: أدب عربي حديث ومعاصر

العنوان:

التسلّط والأنوثة المتمردة في رواية "كبرت ونسيت أن أنسى لبثينة وائل العيسي

إعداد الطّالبتين:

جميلة عيساني

نبيلة سي محمد

إشراف الأستاذة:

زكية بجة

لجنة المناقشة:

أ. نعيمة لعقريب، أستاذة محاضرة "أ"، جامعة مولود معمري تيزي وزو .....رئيسة

أ. زكية بجة، أستاذة محاضرة "ب"، جامعة مولود معمري تيزي وزو ..... مشرفة ومقرّرة

أ. شامة مكلي، أستاذة محاضرة "أ"، جامعة مولود معمري تيزي وزو .....ممتحنة

السنة الجامعية: 2020/2019

شكر وعرفان

نحمدك اللّهم ونصلي ونسلّم على خير خلقك سيّدنا وحبيبنا محمّد صلى الله عليه وسلّم، أما بعد.

نتقدّم بجزيل الشكر ووافر الامتنان إلى الأستاذة المشرفة "**زكية بجة**" التي كانت عونا وموجّها، ومرشدًا، بحيث قدمت لنا معرفتها وبذلت جهدها، وأنفقت من وقتها الكثير لمتابعة هذا البحث.

إلى أن كتب الله له أن يرى النّور.

كما نقدّم شكرنا لكلّ من أمدّنا بمصدر أو مرجع، وكل من أعاننا من قريب أو بعيد.

جميلة/ نبيلة

إهداء

الحمد لله ربّ العالمين على جميع نعمه، وأسأله المزيد من فضله وكرمه، وأشهد أنّ لا اله إلا الله وأنّ محمدًا عبده ورسوله حبيبه وخليله المبعوث رحمة للعالمين أما بعد:

أهدي هذا العمل إلى التي غمرتني بفيض من المشاعر والحنان والتي سهرت على راحتي وتعبي، إلى التي كانت رفيقة مشواري بدعواتها ورضاها، إلى أطيب إمرأة في الوجود "أمي الغالية".

إلى الذي قاسى التّعب والمشقة من أجل دراستي وتوفير احتياجاتي إلى "أبي العزيز".

إلى أخواتي "نادية وابنتها إيلينا، وكهينة وأولادها أمين وعبد الرحمان، ونبيلة وأولادها "أمين وياسين"، ولامية وفازية.

وإلى أخواني "حكيم، مراد، يوسف".

إلى الإنسان الذي أحببته حبّا لا يوصف إلى من تربّع في قلبي إلى من نقشته الأقدار في قلبي وحفرت اسمه في عقلي زوجي "يوسف" وإلى عائلته الكريمة.

وإلى زميلاتي في الإقامة الجامعية (صبرينة، وريدة، سهام، جميلة).

Dédicaces

وإلى كل من أعرفه من قريب أو بعيد أهدي ثمرة جهدي هذه.

جميلة

إهداء

وما من كاتب إلا سينتهي ... ويبقى الدهر ما كتبت يداه

فلا تكتب بكفك غير شيء ... يسـر في القيـامة أن تـراه

إلى من تعجز كل الحروف الأبجدية أن تصفهما والديّ العزيزين.

إلى كل من ساندني وحفزني لأكمل الدرب إخوة كانوا أو أصدقاء.

إلى كل غيور على دينه ولغته.

إلى زميلاتي في الدراسة.

أهديهم ثمرة هذا العمل المتواضع.

نبيلة

مقدمة

تشكل الرواية أحد أبرز الفنون الأدبية وأكثرها رواجا في العصر الحديث، فهي منظومة فكرية إبداعية تستقي مادتها الخام وعناصرها المتعددة من الواقع المعيش والتجربة الإنسانية، ولهذا تنجح بامتياز في صياغة ورسم صور صادقة تعكس آلام وآمال الشعوب، مع إرساء فرضيات وحلول لمختلف القضايا والمسائل الشائكة التي تؤرق النفس البشرية، كما أنّها تمثل منفذا للولوج والهروب من الواقع الضيق إلى بُعدْ آخر شاسع بطريقة إيجابية في خضم الكبوات والمعوقات التي يعيشها الإنسان المعاصر وخصوصا المرأة.

وبالحديث عن المرأة الروائية فإن لمستها الإبداعية في مجال السّرد صنعت جدلا ولفتت انتباه الأدباء والكتاب، فبعدما قبعت لسنين عدة رهينة للأنماط الثقافية ارتأى لها أن تغير وضعها المزري وتقلب الموازين لصالحها فعمدت للكتابة كمحاولة منها للبحث عن هويتها المفقودة في غياهب جمهورية الآخر "الذكر"، وكوسيلة تمرد على العادات والتقاليد التي تفننت في تقييدها وحرمانها من حقوقها المشروعة.

ومن هنا جاء الحديث عن التجربة الإبداعية عند المرأة عامة والروائية "بثينة وائل العيسى" خاصة، والتي جعلْنا من روايتها "كبرت ونسيت أن أنسى" موضوعا للدراسة كونها تنادي بقوةْ إلى تحرير المرأة من قيود المجتمع العربي الذكوري الذي يقدس الرجل ويبوئه موقع السلطة فيما يسعى بالمقابل لتحطيم ومحو شخصيتها وتهميش دورها الاجتماعي وكذا جعلها تابعة للرجل في كل أمور حياتها.

يطرح موضوعنا الموسوم "بالتسلط والأنوثة المتمردة" عدة إشكاليات لخصناها في سؤال محوري وهو: كيف صاغت الكاتبة الانتقال من حالة التسلّط إلى حالة التمرّد في روايتها؟

وتتفرع عن هذه الإشكالية المطروحة تساؤلات متعدّدة أبرزها:

- ما هي أشكال التسلّط في الرواية؟
- كيف تجسد التمرّد الأنثوي في الرواية؟

- ما هي المراحل التي مرت بها الذات الأنثوية لإعادة تشكيل هويتها المستقلة؟

أما عن المنهج الذي يتماشى مع بحثنا، فهو المنهج الاجتماعي لأن النص في حد ذاته يعالج ظاهرة اجتماعية تتمثل في قمع المرأة واضطهادها من قبل الآخر "الذكر "باسم الدين والأعراف.

ومن أسباب اختيارنا لهذا الموضوع:

-وجوب الالتفات إلى موضوع المرأة والتعمق في ثنايا ذاتها والكشف عن أوجاعها وتطلعاتها فهي نصف المجتمع ودخولها في أزمات يعني دخول المجتمع برمته في محنة وجدب يصعب الخروج منها.

- الرغبة في الكشف عن السبيل الذي انتهجته المرأة للخروج من حالة التبعية والخضوع إلى حالة الانعتاق والتحرر.

- اهتمامنا بالموضوع الذي عالجته الكاتبة والذي يتمثل في الاستبداد والبطش اللذين تعاني منهما المرأة في المجتمعات العربية باسم الدين والعادات والتقاليد.

وتشكل بحثنا من مقدمة وفصلين وخاتمة بالإضافة إلى ملحق.

يتناول الفصل الأول المعنون "مفاهيم نظرية" تعريف المصطلحات التالية: التسلّط، الأنوثة، التمرّد، التسلّط الذكوري، التمرّد الأنثوي".

أما الفصل الثاني فعنوناه :"التسلّط الذكوري والتمرّد الأنثوي في رواية "كبرت ونسيت أن أنسى" وقد تطرقنا فيه بعد وضع ملخص للرواية إلى سيميائية العنوان واستنبطنا مظاهر التسلط الذكوري في الرواية، والذي تندرج تحته: السلطة الأسرية والسلطة الدينية والسلطة الاجتماعية، كما انتقلنا بعدها إلى استخراج أشكال التمرّد الأنثوي في الرواية مع تسليط الضوء على أهم المراحل التي مرّت بها الذات الأنثوية لتعيد تشكيل هويتها المستقلة.

وأنهينا بحثنا المتواضع بخاتمة تحوصل أهم النتائج المتوصّل إليها.

وقد اعتمدنا على مجموعة من المراجع نذكر منها:

-كتاب "تمرّد الأنثى في رواية المرأة العربية ببليوغرافيا الرواية النّسوية العربية " لنزيه أبو نظال.

-كتاب "خطاب التأنيث دراسة في الشعر النّسوي الجزائري "ليوسف وغليسي.

-كتاب" ألبير كامو أدب التمرّد "لجون كروك.

ولم يخل بحثنا هذا من بعض الصعوبات التي تواجه أي باحث، كانت أهمّها:

-قلّة المراجع التي عالجت موضوع المرأة.

-صعوبة الاقتباس من الرواية لحجمها الطويل الذي يتعدى عتبة 260 صفحة.

ولا نتوانى أخيرا في تقديم الشكر الجزيل للأستاذة الفاضلة "زكية بجة" لإشرافها على هذه المذكرة، والتي كانت موردًا زاخرًا بالعلم والسّعة الثّقافية.

الفصل الأول: مفاهيم نظرية

1 . مفهوم التسلّط.

2 . مفهوم الأنوثة.

3 . مفهوم التمرّد.

4 . السلطة الذكورية.

5 . التمرّد الأنثوي.

1- مفهوم التسلّط لغة واصطلاحا:

1-1- التسلّط لغة:

جاء في معجم اللغة العربية المعاصرة "تسلّط، يتسلّط، تسلّطا، فهو متسلّط، والمفعول متسلّط عليه، تسلّط على الشعب/ الحكم"[1]. فالتسلّط هو تعبير عن الحكم والسيطرة التي يمارسها شخص ما ضد شخص آخر.

1-2- التسلّط اصطلاحا:

يعتبر التسلّط من بين المظاهر التي طغت على الكثير من المجتمعات والذي جاء تعريفه على أنه "مصطلح عام يستخدم لوصف شخص ما وهو يؤذي أو يحاول إلحاق الأذى بشخص آخر، والمتسلّط مهووس بحب السيطرة على الناس والأحداث، فهو يزعجنا بوعوده ويهلل لنقاط ضعفنا ويطالبنا بثقتنا وأصواتنا وحياتنا، ولا يستخدم نفوذه إلا عند الضرورة، ويبدو بمظهر الإنسان الودود حتى تسنح له الفرصة للحصول على السلطة"[2].

إذن التسلّط عبارة عن إلحاق الأذى بالآخرين والسيطرة عليهم، فالشخص المتسلّط يمارس الطغيان والاستبداد على الآخر بصفته ولي أمره أو مسؤولا عنه.

نجد أيضا أن هناك من يعرّفه بأنه "ممارسة البطش والقوة والإكراه والإرهاب والقمع والعدوان وتلك هي بعض من مظاهر التسلّط في أبعاده اللغوية"[3]؛ فالتسلّط إذن يتمثل في استخدام القهر والسلطة والبطش والقمع من أجل السيطرة على الآخرين.

---

[1]- مفهوم التسلط في المعاجم العربية، معجم اللغة العربية المعاصرة، https://www.arab.dict.com، 2020/12/17، 13:30.

[2]- حسن الموسوي، هوس يحب السيطرة والتحكم، التسلّط يقود إلى فقدان الثقة بالنفس وهدم القيم المجتمعية www.pjjet.edu.kw، 2020/12/17، 14:30.

[3]- علي أسعد وطفة، بين السلطة والتسلّط، دراسة تحليلية، مجلة الفكر السياسي، مجلة فكرية سياسية محكمة تصدر عن اتحاد الكتاب العرب، سوريا، العدد3، صيف 1998، ص128

يعرف التسلّط كذلك على أنه "الإسراف في استخدام السلطة، من أجل تحقيق المصلحة الشخصية على حساب مصالح الأفراد"[1].

نجد مما سبق أن التسلّط مهما اختلفت معانيه من قهر وظلم واستبداد، والهيمنة التي تتمثل في حب السيطرة على الآخرين، إلا أننا نجده مصطلحا يجمع كل هذه المعاني أو المفردات التي تقابله في جملة واحدة ألا وهي فرض الشخص رغبته في السيطرة على الآخرين والمساس بحقوقهم التي يتمتعون بها بحيث ينتج عن ذلك الإجبار والإكراه.

2- مفهوم الأنوثة لغة واصطلاحا:

2-1- الأنوثة لغة:

الأنوثة في أصلها اللغوي لها عدة معاني ومنها ما جاء في لسان العرب لابن منظور "الأنثى خلاف الذكر من كل شيء، والجمع إناث، وأنث جمع إناث أن المرأة سميت أنثى، من البلد الأنيث، قال: لأن المرأة ألين من الرجل وسميت أنثى للينها"[2].

يتضح لنا من خلال هذا التعريف أن المرأة ألين من الرجل فالأنثى هي ذلك المخلوق الضعيف الرقيق ذو العواطف والأحاسيس المرهفة، فليس كل امرأة أنثى لأن الأنوثة صفة من صفات الأنثى تمتزج فيها اللينة بالرقة والحنان، وعلى ذلك يقول يوسف وغليسي في كتابه خطاب التأنيث إن الأنوثة "مشتقة من أنث، يأنث بمعنى لان وضعف وتكسر"[3]

---

[1]- سناء الغندوري، مفهوم السلطة لدى المدرس وعلاقته بالقلق النفسي عند التلميذ، المجلة الدولية التربوية المتخصصة، (المجلد 3)، جامعة محمد الخامس، كلية علوم التربية، الرياض، المحكمة المغربية، العدد 12، كانون الأول، 2014، ص201

[2]- ابن منظور، لسان العرب، الجزء1، مادة (أنث)، تح: أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصديق العبيدي، ط3، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1999، ص229.

[3]- يوسف وغليسي، خطاب التأنيث، دراسة في الشعر النسوي الجزائري، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1،2013، ص43.

ويقال: "امرأة أنثى كاملة الأنوثة"[1].

معنى ذلك أن مصطلح الأنوثة يحيل على عوالم الأنثى المحمول على الضعف والاستلاب لذا كانت الأنوثة سمة الكمال الناقص للمرأة، كما نجد أن لفظ الأنثى ورد في القرآن الكريم في قوله تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ...﴿١٣﴾﴾ [2].

نرى في هذه الآية أن المصطلح يتعلق بمسألة الخلق بحيث خلق صنفين الذكر والأنثى.

2-2- الأنوثة اصطلاحا:

يرتبط مفهوم الأنوثة بشخصية المرأة بحيث ترى العراقية نازك الأعرجي أن الأنوثة "هي ما تقوم به الأنثى وما تتصف به وتنضبط إليه"[3].

من خلال مفهوم نازك الأعرجي للأنوثة يتضح لنا أن الأنوثة هي كل ما تميل وتسعى إليه الأنثى، وتقول أيضا إن "لفظ الأنثى يستدعي على الفور وظيفتها الجنسية ذلك لغرض ما استخدم اللفظ للوصف والرقة والاستسلام والسلبية"[4].

وهذا يعني أن الأنثى مرتبطة أساسا بالجنس، وهناك من يرى أن الأنوثة تظهر في الجسد أي جسد أنثى كما يقول عبد الله محمد الغذامي بأنّها "مجموعة من صفات وحالات إذا تمثلها الجسد النسوي فهو مؤنث وإلا فهو خارج الأنوثة[5].

---

[1]- إبراهيم مصطفى أحمد حسن الزيان وآخرون، المعجم الوسيط، الجزء1، المكتبة الإسلامية للنشر، اسطنبول، تركيا، دت، د ط، ص29

[2]- القرآن الكريم، سورة الحجرات، الآية 13

[3]- نازك الأعرجي، صوت الأنثى، دار الأهالي، د ط، دمشق، 1997، ص198

[4]- المرجع نفسه، ص31. ص31.

[5]- عبد الله محمد الغذامي، ثقافة الوهم (مقاربات حول المرأة والجسد واللغة، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1996، ص57.

فالأنوثة إذن هي باقة من الصفات والمقاييس التي يحددها المجتمع للمرأة، وهذه المقاييس تتعلق بالمظهر، السلوك، القدرات، الاحتياجات، الحقوق والدور الذي تؤديه داخل المجتمع.

كما نجد أنه هناك من يهتم بالفروق البيولوجية للفصل بين الذكر والأنثى والتعامل معها انطلاقا من أحكام مؤسسة على تقاليد ذكورية متمركزة، فالاختلاف الجنسي مصدر قوة لا مصدر دونية"[1]؛ فكلمة أنوثة تستعمل للإشارة إلى ما تفرضه المبادئ الثقافية والاجتماعية والبطريكية من أنماط الجنس والسلوك، وهي تشير إذن إلى الثقافة بمعنى مجموعة الصفات المحددة ثقافيا واجتماعيا وتاريخيا والمفروضة على النساء ككل يوصف جوهره الطبيعي"[2].

ويرى آخر أن الأنوثة تتعلق بالقضايا البيولوجية الخاصة بالمرأة"[3].

نلاحظ من خلال هذه التعريفات أنها تشير إلى تأثير المجتمع الذكوري على أن المرأة وما يتبعه من تغيير شخصيتها وصفاتها وما ينسجم مع بيئتها من جهة، والنوازع الأنثوية الشخصية للمرأة المحركة لأفعالها ورغباتها من جهة أخرى.

يتضح مما سبق أن مصطلح الأنوثة يتعلق بخصوصية المرأة مهما تنوعت التعريفات، فكل يعرفها حسب وجهة نظره، فمنهم من ربطها بكل ما تتصف به بحيث تجعلها تلك

الصفة أنثى، وهناك من ربطها بمسألة الاختلاف الجنسي/ البيولوجي بين الذكر والأنثى.

---

[1]– فاطمة العتيق، لغة الشعر النسوي العربي المعاصر، عالم الكتب الحديث، ط1، 2011، ص18

[2]–نادر القنة، إشكالية المصطلح في المسرح النسائي، مجلة البيان، رابطة الأدباء، الكويت، عدد 401، ديسمبر 2003، ص130.

[3]– محمد عناني، المصطلحات الأدبية الحديثة، دراسة معجم إنجليزي، الشركة المصرية للنشر لونجمان، القاهرة، ط3، 2003، ص191

3- مفهوم التمرّد لغة واصطلاحا:

3-1- التمرّد لغة:

جاء في معجم لسان العرب لابن منظور أن التمرّد "يقال لبرج الحمام التّمراد، وجمعه التماريد، وهي كما قيل محاضين الحمام، وهي بيوت صغيرة يبنى بعضها فوق بعض والمارد هو العاتي، ومرد الشيء يمرد مرودا ومرادة فهو مارد ومريد، وتمرّد :أقبل وعتا، وتأويل المرود :أن يبلغ الغاية التي تخرج من جملة ما عليه ذلك الصنف، وقال ابن الأعرابي: المرد التطاول بالكبر والمعاصي، ويقال تمرد علينا، أي عتى وطغى"[1].

مما سبق يتضح لنا أن معنى التمرد هو التطاول جهرا بالمعاصي وهو يمثل الطغيان بوجه عام.

وفي معجم العين للخليل بن أحمد الفراهيدي هو: "المرد: حمل الأراك، والمرد دفعك السفينة بالمردى، أي خشبة يدفع بها الملاح السفينة والفعل مرد يمرد مردا، والمرادة مصدر المارد، والمريد: من شياطين الإنس والجن، وقد تمرد عليه أي عصى واستعصى" [2].

إذن من خلال هذا القول يتبين لنا أن التمرّد يفيد معنى العصيان، وجاء في معجم أساس البلاغة للزمخشري (مادة مرد) أن التمرّد"هو مارد من المراد، ومتمرد، وشيطان مريد ومريد، وقد مرد يمرد مرودا، مرد مرادة، وتمرد علي... وبني تماريد للحمام وتمردا، ومردت لها تمريدا، أي مرنوا عليه"[3].

---

[1]- ابن منظور، لسان العرب، منشورات مؤسسة الأعلامي للمطبوعاتـ بيروت، لبنان، ط1، مراجعة يوسف البقاعي وآخرون، مادة مرد، مجلد2، الجزء3، 2005

[2]- الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، مادة (م ر د)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص132.

[3]- الزمخشري أبي القاسم جار الله، أساس البلاغة، تح : محمد باسل عيون السود ،منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، مادة (م ر د)، ج2، 1998، ص203.

وفي قوله تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ..﴿١٠١﴾﴾ [1].

وفي معجم المحيط للفيروز أبادي هو "مرد كنصر، وكرم، مرودا وموراد، فهو مارد، ومريد، أقدم وعتا"[2].

نلاحظ أن جل المعاجم مهما تنوعت مفاهيمها حول التمرد إلا أنها تصب في معنى العصيان وعدم الطاعة والرفض السلبي وقد يصل إلى الخروج عن السلطة والقيم والقوانين المتعارف عليها.

3-2- التمرّد اصطلاحا:

إن التمرّد في معناه الاصطلاحي يحمل معنى شاسعا يصعب حصره، كما يختلف معناه باختلاف زاوية النظر فيعرفه ألبير كامو قائلا "التمرّد إذا حركة الحياة بالذات وأن لا سبيل لنا إلى نسيانه دون التخلي عن الحياة إذ أضفى صرخة من صرخاته التي تطالعنا كل مرة بكينونته"[3].

يمثل التمرّد عند ألبير كامو الثورة على الأوضاع أو الوضع الإنساني، وهو عبارة عن رد فعل عنيف اتجاه حالة معينة تستثير الإنسان الذي يحيلها أو يعاني منها.

كما نجد سوزان عبد الله إدريس تعرفه على أنه "رفض تنفيذ الأوامر، وهو سلوك

اجتماعي يهدف إلى الخروج عن السلطة ومظاهر النفوذ بما يتوافق مع أفكار المتمردين، وينتج عن إحساس الأفراد بالظلم والقهر والخضوع للأنظمة والقوانين التي تحكم الإنسان دون

---

[1]- القرآن الكريم، سورة التوبة، الآية 101.

[2]- الفيروز أبادي، قاموس المحيط، مكتب تحقيق التراث، مؤسسة الرسالة، لبنان، ط2، 2005، ص319.

[3]- ألبير كامو، الإنسان المتمرد، تر: نهاد رضا، دار منشورات عويدات، بيروت، ط3، 1938، ص377

رحمة أو عدل وينطوي هذا المفهوم على معنى أخلاقي هدفه تحقيق العدالة والكرامة والمساواة إزاء انتشار الظلم والفساد"[1].

إذن التمرّد عبارة عن سلوك اجتماعي موجه إلى أشكال السلطة المختلفة، ومظاهر النفوذ على حسب ما يتوافق مع أفكار المتمردين من خلال الخروج عنها ورفض تنفيذ أوامرها، والسبب في ذلك هو احساسهم بالظلم والقهر والخضوع للأنظمة والقوانين التي تحكم بلا عدل ولا رحمة ولا مساواة.

ينتج التمرّد بسبب غياب العدل والمساواة وانتشار الظلم والفساد التي تحكم الفرد دون رحمة ولا شفقة، ولو وجد العدل والمساواة لما وجد هذا التمرد، بحيث يكون الهدف من هذا التمرّد أساسا هو تحقيق العدل والمساواة الغائبة عند السلطة، فكل فرد يسعى إلى إعادة الاعتبار لنفسه واسترجاع مكانته لإثبات شخصيته وإثبات الوجود "ذلك أن التمرد يكشف للإنسان عن وجود جانب من نفسه على قدر كبير من الأهمية يستطيع عن طريقه أن يقف على ماهيته بوصفه إنسانا، وأن يواجه عبثية الوجود"[2].

فالإنسان بفعل التمرّد يستطيع أن يُخرج ما لم يستطع إخراجه ويستطيع التعبير فيه عن نفسه، فالإنسان بطبعه متمرّد وقد خلق متمرّدا ليصنع ذاته ويطورها.

مما سبق نجد أنّ التمرّد في معناه اللغوي يدور حول معاني العصيان والخروج عن السلطة، أما من الجانب الاصطلاحي نجده يدور حول معاني الغضب والمعارضة، ومهما تعددت معاني التمرّد بين التعريف اللغوي والاصطلاحي إلا أنه يصب في معنى واحد وهو العصيان بوجه عام، فهو عبارة عن رد فعل عنيف اتجاه حالة معينة تحاول السيطرة أو فرض نظام أو قانون اتجاه الآخر من أجل تطبيقه وبالتالي السيطرة على الآخرين.

---

[1]– سوزان عبد الله إدريس، مشكلة الإنسان في فكر ألبير كامو، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2017، ص124، 125.

[2]– جون كروك شاتك، ألبير كامو وأدب التمرد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1986، ص147

4- مفهوم السلطة الذكورية:

يعد التسلّط الذكوري ذلك القمع والقهر الممارس على المرأة من طرف الذكور والقدرة على إخضاعها ويعني في العلوم الاجتماعية "قدرة الرجال على فرض إرادتهم على المرأة وإنزال العقوبات أو التهديد بها على من لا تطيع أوامرهم أو تمتثل لطلباتهم"[1]، وبذلك أصبحت المرأة ضحية مجتمع ظالم مستبد، قابعة تحت سلطان وحكم الرجل الذي أحكم قبضته على كافة تفاصيل حياتها، وضيق عليها الخناق في كل المجالات والأدوار التي تأخذها سواء كانت ربة بين أو طالبة علم أو عاملة مستقلة، ومهما كانت مكانتها في المجتمع والأسرة، زوجة، أختا، أُما، فإن الاستعباد سيخيم عليها.

بالعودة إلى التسلّط الذكوري عند العرب فإنه يهضم حقوق المرأة ولا يعترف بقدراتها ولا مؤهلاتها في إحداث تغيير اقتصادي، ثقافي، فكري، "أضف إلى ذلك أن الرجال يريدون أن تكون المرأة المرتبطة بهم مجرد عبد، بل نراهم يرغبون في أن تكون عبدا بإرادتها ورغبتها وليس بالإكراه ومن ثم استخدموا جميع الوسائل لاستعباد عقول النساء"[2]، واعتمدوا بالدرجة الأولى على الدين المفترى عليه، أي تفسير الآيات القرآنية والأحاديث حسب الأهواء وكذا الأعراف والعادات والتقاليد التي تمثل أساس المجتمع والذي يظلم المرأة ويحتفي بالرجل ولو كان طالحا.

4-1- أسباب التسلّط الذكوري:

تتعدد الدوافع المولدة لظاهرة التسلّط الذكوري على المرأة ولعل أبرزها:

أ-**الفهم الخاطئ للدين الإسلامي:** في الشريعة الإسلامية الأنثى كالذكر اتجاه التكاليف الشرعية والعبادات بأنواعها المختلفة، لم يرسل الله الرسل والأنبياء للذكور دون الإناث، ولم

---

[1]- التسلّط والخضوع، علاقة المرأة بالرجل في المجتمع العراقي، على الموقعalmadapaper.net ، تم الاطلاع عليه بتاريخ 2020/10/05 على الساعة 8:00

[2]- جون ستيوارت ميل، استعباد النساء، ترجمة وتعليق وتقديم إمام عبد الفتاح، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1998، ص13.

يختص القرآن بمخاطبة الرجال فقط، إنما خطابه موجه للناس أجمع ذكرا أو أنثى، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [1]، ووجوب الامتثال لأوامر الله واجتناب نواهيه مفروض على كلا الجنسين، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [2].

هناك العديد من الآيات التي تؤكد أنه لا فرق بين الذكر والأنثى في الإسلام، فالجميع متساوون عند الله والفارق يصنعه الفعل الحسن والتقوى، أما القوامة والقوة البدنية التي منحها الله للذكر ليست معيارا للسلطة والحكم، وقوامته تكليف لا تشريف لأنها هبة من لله ليدافع ويحمي بها الأنثى لا أن يجعلها سلاحا ضدها.

إن التشريعات الباطلة والفتاوى الفاسدة التي أضحت تتهاطل من أفواه لا تفقه شيئا في الدين قلبت الأمور رأسا على عقب، والمتضرر الوحيد هو المرأة، فالفهم الخاطئ لآيات الذكر والأحاديث، أصبح سلاح فئة من الذكور لتبرير أفعالهم الدنيئة ضد المرأة مثل الآيات الكريمة التي أسيء تفسيرها "وقام الرجل بتأويلها حسب مزاجه ومصالحه الشخصية، (الرجال قوامون على النساء) النساء34، أو (للرجال عليهن درجة)"[3] فما أن تنتفض المرأة لتنادي بحقها أسكتها الذكر بتظليله وافتراءه مستدلا بآيات وأحاديث تحمل معنى مغايرا لمافهمه.

فتصمت المرأة وتخضع ظنا منها أنها ستعادي وتتعدى على دينها لو أسهبت في الحديث والدفاع عن نفسها، ولكن مع انتشار الوعي مؤخرا وإقبال النسوة على التعلم والاطلاع على الفتاوي والتفسيرات ظهرت بوادر التحرر من المعتقدات المظللة الخاطئة وأصبحت المرأة تعي جيدا أن الإسلام ما جاء ليهينها بل ليرفع قدرها ويضفي صفة العدل

---

[1]– سورة سبأ، الآية 28

[2]– سورة النور، الآية 56

[3]– جون ستيوارت ميل، استعباد النساء، المرجع السابق، ص22.

بين الرجال والنساء، قال صلى الله عليه وسلم: "إنما النساء شقائق الرجال ما أكرمهن إلا كريم وما أهانهن إلا لئيم"[1]، وهنا تظهر شدة عناية الرسول صلى الله عليه وسلم بالمرأة ووجوب معاملتها معاملة حسنة ومعاشرتها بالمعروف، مؤكدا أن ما أكرمها إلا كريم الخصال وما أذاها إلا اللئيم الظالم المستبد.

اذن فالعدو الحقيقي للمرأة هو قلة الوعي والاستفسار والاكتفاء بالتصديق الأعمى بكل قول، بالإضافة إلى كثرة الطاعنين في الدين الذين يدخلون من الثغرات التي تركها أهل العلم دون توضيح دقيق.

ب- المجتمع الأبوي الذكوري:

تقوم المجتمعات العربية على نظام ذكوري يهيمن فيه الذكر على الأنثى يستعبدها ويضطهدها وينفي وجودها الاجتماعي بحجة أنها أقل درجة منه ومن أهم ظواهر هذا الظلم المسلّط عليها "الأمية، البطالة، العنف الأسري وعدم المساواة، وحتى أقصى الكوارث الاجتماعية التي تصيب المرأة وتمنعها من التطور الذي تطمح إليه، إضافة إلى التمتع بحقوقها في ظل قوانين عادلة"[2]، وسبب هذا القمع تجذر فكرة اللامساواة بين الجنسين في ذهنيات الذكور ويذهبون إلى أن الرجال لهم حق الأمر وعلى النساء واجب الطاعة ويعتقدون أن قوامة الرجل تشريف لكنها في الحقيقة تكليف، ويستدلون بمسلمة أن الرجل هو من يتمتع بقوة بدنية تؤهله للسيطرة على المركز الأول في كل المجالات، ومن هنا انغرست فيهم النزعة القيادية وحب السيطرة والقمع والاضطهاد.

يأخذ الاضطهاد ثلاثة أشكال هي:

---

[1]- حديث شريف

[2]- هدى الهرمي، المرأة العربية بين الهاجس والتحدي، الجمعة 2019/04/12، على الموقع middle.eastonline.com اطلع عليه في 2021/01/01، 12:00.

. الاضطهاد النوعي: يقوم على تفوق الرجل على المرأة وهيمنته عليها من أجل تحقيق مصالحه الخاصة والعامة التي أدت إلى طمس شخصية المرأة والتقليل من أهميتها ودورها الاجتماعي.

. الاضطهاد الأبوي الذكوري: الذي يظهر في هيمنة الرجل على الأنثى في العائلة والمجتمع والسلطة، ويتم التعبير عن هذه الهيمنة وهذا الاضطهاد بتسلّط الذكر على الأنثى والأب على الأم والأولاد تسلطا لا عقلانيا يوجب خضوعهم وطاعتهم له طاعة عمياء.

. الاضطهاد القانوني: ينبثق من الاضطهاد الأبوي والذي ينعكس في القوانين الوضعية والعرفية التي تضطهد بدورها المرأة في حقرتها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وهو ما يعيق تقدمها ومساواتها مع الرجل وفي الإنسانية[1].

إذن فقانون القوة لايزال يستند إليه الرجل للسيطرة على المرأة، والأبشع أن يرتضيه عالمنا المتقدم والراقي، والأكيد أنه لو غيرت البشرية الأوضاع الاجتماعية الجائرة التي عاشت المرأة في ظلها لما وجدنا اليوم فروقا جوهرية بين الذكر والأنثى، فالعدالة تقتضي وضع الرجل والمرأة في ميدان واحد مع إعطائهما كل الحرية والإمكانيات، وبذلك نكتشف قدرات كل منهما، والقمة للمثابر والمؤهل، لكن العالم العربي يقصي دور المرأة في محيطها ويعتبرها غير فعالة وأن دورها يقتصر على البيت وتربية الأولاد.

ج- خضوع المرأة:

من المؤكد أن المرأة أيضا مشتركة في إضفاء صفة الذكورة على المجتمع بدليل

أنها حالما تعرف أن الساكن بين أحشائها ذكرا تنتشي كقائد حربي، حقق أعظم انتصاراته، وبعد الولادة تبدأ بإشباع الطفل صفات التمييز والأفضلية وتغذيته حب الاستعلاء فيكبر

[1]- إبراهيم الحيدري، الهيمنة الذكورية في المجتمع والسلطة ،شبكة الاقتصاديين العراقيين،ص7.

الطفل وينشأ وفق منهج منحاز إلى الذكورة ويقتنع بأنه يختلف اختلافا تاما عن تاء التأنيث ويعلوها درجة.

يمكن القول بأن سبب تطاول الذكور على الإناث هو خضوع المرأة بالدرجة الأولى لأنها ساهمت في الترويج لذلك، وفي هذا الصدد تقول حنان هودي الباحثة في قضايا المرأة "إن المرأة تتبنى رؤية قامعها وتتحول إلى وكيلة للنظام الأبوي وتقوم بضبط النساء الأخريات ليطعن النظام العام"[1]، لذا فمقولة عدو المرأة هي المرأة هي مقولة صحيحة لا ريب فيها باعتبار أنها هي من تبجل هذا الوضع، "والمجتمع الذكوري لا يوجد في حقيقة الأمر إلا في مخيلة بعض النساء اللواتي قبلن بأقل الحقوق وكل الواجبات لإقرارهن بأنهن الأقل درجة، والكارثة ليس في خضوعها، بل تكمن الكارثة في الدفاع باستماتة لاستمرارها وبقائها كثقافة مهيمنة، وهذا الأمر هو الذي أدى إلى انكفاء المرأة على دورها التقليدي كوعاء للإنجاب وخادمة للذكر ودائما محلها المرتبة الثانية بعده"[2].

ومن هنا فإن الخضوع والاستسلام وكذا تبجيل وتعظيم دور الرجل من طرف المرأة هو السبب المباشر الذي دفع إلى نزول كفة ميزان المرأة نحو الدرك وصعود كفة الرجل إلى الأعلى فنتج عنه خلل واضح أضر بالمرأة.

هناك عدة أسباب توضح بأن المرأة هي من صنعت من نفسها جمادا في الهامش وهي:

- حفاظها على القيم الظالمة للمجتمع الذكوري.
- منع البنت من التعبير عن نفسها في نطاق الأسرة وخارجها وتربيتها على أن الطموح الوحيد للأنثى أن تكون زوجة طائعة خاضعة.

---

[1]- هدى الهرمي، المرأة العربية بين الهاجس والتحدي، الجمعة، 12/ 4/ 2019.

[2]- خالد العضاض، المجتمع الذكوري العربي، الخميس، 5/9/ 2019.

- ترويج فكرة حق الذكر في تقويم المرأة بالضرب.
- ترديد أمثال شعبية تسيء للمرأة وتحتقرها... إلخ.

ومن هنا نستنتج أن هذه الفئة تقتل وتضيع نباهة ومؤهلات العديد من الفتيات وتحرم عليهن فرصا ذهبية لو تحصلن لمجدهن التاريخ بفضلها.

5- التمرّد الأنثوي في الرواية النسوية:

5-1-مفهوم التمرّد الأنثوي:

هو أسلوب تنتهجه المرأة لاسترجاع حقوقها المسلوبة كقدرتها على التصرف الفردي لشؤونها واختيار قراراتها المصيرية ونمط حياتها، وأهدافها في الحياة، بحيث تكون هي المسؤول الأول والأخير عن ذاتها لإعادة الاعتبار لنفسها وإثبات وجودها المقصي مع تحقيق المساواة في المعاملة بينها وبين الرجل في المجالات المختلفة كالتعليم، السياسة وفرص العمل.

5-2- الأنوثة المتمرّدة في السرد النسوي العربي:

نشأت المرأة العربية في مجتمع قمعي ذكوري أنثوي مغلق، فهمشت في عالم خاص قائم بذاته يغلب عليه الجهل والحرمان، الكبت والعبودية، التأثر والتأثير، "العادات والتشرذم، الأمية والتخلف، كل هذه المسببات وضعت المرأة في نطاق لا تحسد عليه"[1] وطوال سنين عدة رضخت المرأة لهذا الواقع في المجتمع، فاختارت الكتابة كسلاح تثور به ضد قامعيها، من هنا تشكل السرد النسوي العربي.

[1]- سمية عبدة، المرأة العربية بين التخلف والتحرر، دار الآفاق الجديدة، ط1، ص7

يعدّ عقد التسعينات من القرن العشرين الماضي، "عقّد فورة الكتابات النسوية ولاسيما في مجال الرواية بظهور جيل جديد من الكاتبات العربيات عملت من خلال إدراكهن بخصوص وضعهن كنساء في مجتمع أبوي"[1].

ووجدت في السرد وسيلة تمثيلية مناسبة لتغيير عالم يحول دون التعبير المباشر عنه.

تعتبر الرواية النسوية الوسيلة الأنجع والرامية إلى نقد التراث الذي يهمش المرأة، وهي تمثل رد فعل طبيعي يجسد الوعي النسوي بصورة إيجابية لأنها "تربط التجربة الكتابية للمرأة بما هو عام على مستوى الواقع والمعيش بقضاياه وهمومه وأزماته، ما يشير إلى موقف له بعده السياسي والاجتماعي الذي يتيح تقديم منظور الشخصية النسائية بوصفها كيانا إنسانيا نظيرا للرجل ومثيلا له، ويجسد تجربة المرأة المتعلقة بكيانها العقلي والحسي والنفسي"[2]، فالروائية العربية وجدت في الكتابة والسرد ذلك الأفق الواسع الذي يحقق توازنها المفقود بين ذاتها الداخلية والاجتماعية واتخذت من بطلاتها وسيلة الاعتراف المحققة لهذا الهدف بردم الهوة بين الأنا والعالم وتكاد تكرر ما قاله الروائي الفرنسي المشهور بلزاك: "أنا سعيد بكوني روائيا لأني استطعت من خلال شخصيات أبطالي أن أبوح بكل ما لم أكن أجرؤ على البوح به بنفسي[3]. بمعنى أن السرد هو ميدان حر يسمح بنقل خلجات النفس وأوجاعها من الباطن إلى أسماع الغير.

يتجلى التمرد الأنثوي في ثنايا الروايات النسوية على شكل شخصيات نسائية تمثل الدور الانتقامي ضد الرجل والمجتمع وتقدم لنا الرجال كمعطوبين ومهزومين، بينما نرى

---

[1]– صبحة علقم، التشابه والاختلاف بين السرد النسائي والسرد النسوي، المرجع السابق.

[2]– المرجع نفسه.

[3]– نزيه أبو نظال، تمرد الأنثى، ص26

المرأة تتماسك وتتألق رغم أن البدايات سلبية إلا أنها في الأخير تتحرر وتتحول من حالة الضعف والاستكانة إلى حالة القوة والتمرد والاستقلالية ويتجلى هذا في عدة روايات عربية أبرزها:

- زهور ونيسي في روايتها ليلة الغياب
- أسمى حلمي في روايتها زوجات ورجل

الفصل الثّانـي:

التسلّط الذكوري والتمرّد الأنثوي في رواية "كبرت ونسيت أن أنسى"

ملخص الرّواية

1- سيميائية العنوان

2- مظاهر القمع الذكوري في الرّواية

3- أشكال التمرد الأنثوي في الرواية

4- مراحل تشكيل الذات الأنثوية المستقلّة

ملخص رواية "كبرت ونسيت أن أنسى"

تجسد الرواية قضية "فاطمة" الفتاة التي فقدت والديها أثناء حادث مروري مرعب، الذي كان نقطة انطلاق حياتها المليئة بالكوابيس الواقعية التي يصورها لها أخوها غير الشقيق "صقر"، الذي يتولى رعايتها وهي في سن الثالثة عشر، فهو يجد في مسؤوليته اتجاه أخته فرصة ملائمة لتصليح حياتها كما يظنّ، على الرغم من أنها كانت مدللة من قبل والديها، فيبدأ "صقر" بتضييق الخناق عليها باسم الدين، فيحرم عليها كل شيء ويمنع وجود ألعابها في البيت ويشطب القنوات التلفزيونية ويحرق كتبها، ويمنعها من كتابة الشعر والذهاب إلى الكلية، ويلجأ إل تسجيلها في كلية البنات، بقيت "فاطمة" رهن معاملة أخيها السيئة والمتخلفة وأصبحت تعيش مأساة حقيقية لم تجد اي أمل في الحياة غير الشعر كمصباح للخروج من هذا السرداب المظلم الذي جعل حياتها جحيما، وتخرج كل ما يخنقها عبر سطور شعرية تجسد حالتها والعالم المخيف والكئيب من حولها، وفي ظل هذه القوانين الصارمة والمفروضة عليها من قبل "صقر" تتعرف على شاعر مبتدأ يدعى "عصام"، فتبادله بعض المشاعر، ويعمد هذا الأخير إلى إدخالها في ناد قراء لتبادل الأفكار، ويقرران مع مجموعة من الأصدقاء عرض شعرهم، وعلى الرغم من تردد "فاطمة" إلا أنها تخوض هذه التجربة سرا، والتي تعد نوعا من التمرّد اللاأخلاقي بالنسبة لأخيها "صقر"، وفي اليوم الذي تعرض فيه "فاطمة" شعرها ينكشف أمرها وينهال عليها "صقر" بالضرب أمام الجميع ويجعلها حبيسة الجدران مرة ثانية لعدة سنوات، ويسارع بتزويجها لصديقه دون موافقتها.

1- سيميائية العنوان

تعتبر دراسة العنوان من بين الدراسات التي يلجأ إليها العديد من الباحثين بحيث "يشكل العنوان مدخلا رئيسيا للولوج إلى عالم النص وذلك لتعدد وظائفه، فهو أداة إغواء وتشويق

تخلق في نفس القارئ رغبة جامحة في معرفة ما تحتويه الرواية"[1]، ذلك أن العنوان هو الذي يجذب القارئ لمعرفة محتوى النص، وقد وقع اختيارنا كما سبق الذكر على رواية "كبرت ونسيت أن أنسى" لمعرفة مدى انسجام دلالات العنوان مع دلالات النص.

والعنوان للكتاب كالاسم للشيئ، به يُعرف وبفضله يتداول، يشار به إليه، ويدل به عليه، ويحمل وسم كتابه. هذا ولا يمكن مقاربته مقاربة علمية موضوعية إلاّ بتمثل المقاربة السيميوطيقية التي تتعامل مع العناوين وذلك باعتبارهما علامات وإشارات ورموز وأيقونات واستعارات، ومن ثم لابد من دراسة هذه العناوين تحليلا وتأويلا[2].

جاء الفعل "كبرت" على وزن فعِل ومضارعه يكبر على وزن يفعل، والفعل "نسيت" من النسيان جاء على وزن فعِل لأن مضارعه "نسي ينسى" على وزن يفعل.

جاء عنوان رواية "كبرت ونسيت أن أنسى "على شكل جملة فعلية، تبدأ بالفعل "كبرت" وهو فعل ماض مبني على الفتح والتاء تعود على الفاعل، والواو حرف عطف، و"نسيت" فعل ماض مبني على الفتح، و"التاء" تاء الفاعل و"أن" حرف نصب، و"أنسى" فعل مضارع منصوب ب "أن"، فنلاحظ أن هذا العنوان يدل على التغيير وعدم الإستقرار لكثرة الأفعال فيه.

يثير عنوان رواية "كبرت ونسيت أن أنسى" نوعا من الدهشة والحيرة والتساؤل، ولهذا يلجأ القارئ إلى نص الرواية ليكتشف حقيقة التسمية وفك الشفرات التي تجعله مبهما وغامضا.

---

[1] – سعاد ارفيس، ملامح التمرد في الرواية النسائية الجزائرية، رواية الممنوعة لمليكة مقدم، www.benhedouga.com، 21 جانفي 2021، 14:00.

[2] – جميل حمداوي، شعرية النص الموازي(عتبات النص الأدبي)، دار نشر المعرفة، الرباط، المغرب، 2014، ص50.

جاء في بداية الرواية: "قالوا لي جميعا تكبرين وتنسين، المشكلة هي أنني كبرت ولم أنس.

"كبرت ونسيت أن أنسى"[1].

تكبر وتنسى عبارة يقولها لنا الكبار عندما نتعرض للأذى، لكن بطلة الرواية "فاطمة" تكبر ولا تنسى، لا يمكن لفاطمة أن تنسى، فهل حقا ستنسى بعد أن سلبت منها طفولتها وأحلامها وكل شيء جميل في حياتها.

يحيل عنوان الرواية إلى المعاناة الشديدة التي كانت تواجهها "فاطمة" مع أخيها "صقر"، فقد كان يمارس عليها كل أنواع القمع الجسدي والمعنوي، ويتسلط عليها، فنجدها معنفة باسم الدين وباسم العادات والتقاليد التي تقمع المرأة في مجتمع ذكوري يحرمها من طعم الحرية، فموضوع الرواية بشكل عام يحكي عن "صقر" المتشدد الذي يمارس تعسفه عليها ويحرمها من أبسط حقوقها، بحيث يخنقها برباط التدين ويلوي رباط الظلم والاضطهاد حول رقبتها باسم الدين ليجعله مبررا لأفعاله، فيحرمها من طموحاتها في الحياة ورغباتها وأحلامها ويسلبها أبسط حقوقها التي ترغب بها، فلا يمكن "لفاطمة" أن تنسى ما مرت به من ألم ومعاناة شديدتين ولهذا نجد أن العنوان مناسب للرواية لأنه يتوافق مع المتن.

إذن فالنسيان رغبة ملحة عند "فاطمة"، وهي متعلقة بالكبر، ولكن رغبتها في النسيان لم تتحقق، "ففاطمة" التي كبرت يفترض أن تنسى كما ينسى أي شخص ما وقع له في الصغر، بحكم أن النسيان هو خاصية إنسانية بالأساس، إلا أنها بقيت تصارع ذكرياتها المؤلمة وأحزانها المفجعة، و"نسيت أن أنسى" إشارة عميقة إلى عمق الجرح وصعوبة علاجه، فالنسيان هنا يمثل اللا نسيان لأنه لم يتحقق وبقي منقوشا في الذاكرة.

[1] – بثينة وائل العيسى، كبرت ونسيت أن أنسى، ط 1، دار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، 2013، ص5

وهكذا استطاعت عتبة العنوان أن تشتغل اشتغالا مؤثرا وفاعلا في المتن النصي، إذ نجد أن العنوان الرئيسي لم يخرج عن إطار المضمون، فهو جزء لا يتجزأ من النص الكلي الذي يخبرنا عن الأحداث الواقعية، فمنها ينفعل بها ويتفاعل معها، وفي الوقت ذاته يؤثر ويتأثر بها.

2- مظاهر التسلّط الذكوري في رواية "كبرت ونسيت أن أنسى":

تتمثل سلطة الرجل/ الذكر بصفة عامة في تلك الحرية المطلقة التي يمتلكها ويمنحها لنفسه، بينما يقابلها بصورة عكسية ضيق الدائرة على المرأة، فأغلب الرجال يمارسون السلطة والقمع على المرأة بحجة القوامة وذلك وفق ما قاله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ...٣٤﴾ [1]، فالفهم الخاطئ لهذه الآية الكريمة جعل بعض الرجال يتسلطون على المرأة، فهنا مفهوم القوامة ليست قوامة السطوة والسيطرة والاستبداد والظلم ولكنها قوامة المسؤولية والالتزامات، لأن الرجل أقوم على المرأة في الجسم وأقدر على الكسب والدفاع عن بيته وعرضه، ولكنه يرى نفسه أنه شخص قيادي له كل الحق في منع المرأة من ممارسة حقوقها المشروعة سواء كانت أختًا أو أمًا أو زوجةً...، ويتفرع التسلّط في هذه الرواية إلى عدة مظاهر أهمها:

2-1- السلطة الأسرية:

أ- سلطة الأخ:

لقد شكلت دونية المرأة في وعي الآخر "الرجل" إشكالية في نظر الروائية في روايتها "كبرت ونسيت أن أنسى" وهي تروي لنا واقع المرأة المتأزم التي تصارع الآخر، وذلك نظرا لطبيعته القاسية مما جعل الثقافة الذكورية تتبوأ موقع السلطة اتجاه المرأة.

[1]- سورة النساء، الآية 34

تبدأ معاناة بطلة الرواية "فاطمة" عند موت والديها في حادث مروري أليم، بحيث يكون هذا الأخير سببا في تحطم حياتها، فحالما تنتقل إلى وصاية أخيها المتشدد دينيا، تتغير خريطة حياتها وتتحول من جنة نعيم إلى سرداب جحيم، لتصبح كائنا مهمشا داخل الحياة الأسرية الجديدة، تقول فاطمة: "قال لي من الآن فصاعدا ستعيشين معنا، ستكونين ابنتي بدلا من أختي"[1].

اعتبر "صقر" "فاطمة" ابنته بدلا من أن يعتبرها أخته لكنه أسكنها داخل سرداب مظلم لا يصلح أصلا ليكون ملجأ للحيوانات على الرغم من وجود غرف زائدة

في البيت، تقول "فاطمة":

"امتلأ قلبي بالكمد وغامت عيني، هذا السرداب غرفتي؟ أخاف السراديب قال مضطرون، ليس عندنا غرف زائدة. كانت عنده غرفة زائدة في الطابق الثاني ولكنه ارتأى أن يملأها بالأجهزة الرياضية"[2].

تأتي صورة الرجل في رواية "كبرت ونسيت أن أنسى" انطلاقا من علاقته بالمرأة من خلال استراتيجية الكشف على تعالي الرجل في المجتمع ونظرته الدونية للمرأة، فهو ذلك المتحكم الممارس لسلطته عليها ويبدو هذا واضحا من خلال تجسيد الكاتبة لبطلتها في الرواية، حيث تتحدث عن سلطة أخيها وتقول: "الآن وقد آلت إليه السلطة سلطة أن يكون – وحده– ولي أمري أن ينتقم مني، وأنا في الثالثة عشر من عمري، لأنني أخته غير الشقيقة"[3].

[1] – الرواية، ص25.

[2] – المصدر نفسه، ص25.

[3] – المصدر نفسه، ص31.

يظهر هذا التسلّط بشكل واضح من خلال الحياة التي كانت تعيشها "فاطمة" مع أخيها "صقر"، والسرداب الذي جعله لها كمأوى تلجأ إليه، بحيث تقول وهي تصف هذا السرداب المظلم الذي ستقضي فيه بقية حياتها: "السجاد زيتي داكن يخدش الروح من قاع القدم، وعلى السقف فوق رأسي بقع صفراء، تتسع في البياض العدمي، كانت وحدة التكييف تئز بإلحاح، أطفئها فتتعفن الغرفة في خمس دقائق، ولأنه سرداب، فهو بلا نوافذ، لا يطل إلاّ على قبحه الداخلي، ولا يعرف من العالم إلا تأملاته النابتة من أحراش الظلمة، الهواء مثقل برائحة النفتالين، الكرات البيضاء مرشوشة هنا وهناك، وهو الأمر الذي يعني أنني لم أكن وحدي، كنت دخيلة على يوتوبيا القوارض، أجيال من الصراصير والفئران دشّنت حضارات وحضارات هنا قبل أن آتي بقرع نعلي وتشنجات رعبي لأزاحمها المكان"[1].

يبدأ ظهور دونية المرأة والتهميش الذي تعاني منه وهي تصارع المجتمع الذكوري من خلال المكان الذي تعيش فيه رغما عنها والقبول به غصبا عنها، بحيث يرى "صقر" بأن هذا السرداب هو المكان الوحيد الملائم "لفاطمة" لتأوي اليه وعلى الرغم من وجود غرف زائدة في البيت إلا أنه ارتأى له أن يملأها بالأجهزة الرياضية ويجعل أخته سجينة هذا السرداب المظلم.

تعاني الذات الأنثوية من القهر والحزن في حياتها الجديدة مع أخيها، والسرداب هنا كلمة لها دلالات عدة بحيث تعبر أولا عن القهر الأنثوي الذي كانت أوى تلجأ

تعيشه هذه الاخيرة في ظل القمع الأسري كما أنها تعبر أيضا عن الوحدة التي تجتاح كيانها وروحها بغياب روح تواسيها وتخفف عنها مرارة الحياة.

يعتبر "صقر" رمز الثقافة الدينية المتشددة والمتسلطة، إذ نجده يمارس كل أنواع التسلّط والقمع على أخته ويمنعها من ممارسة كل حقوقها في الحياة باسم الدين، فهو بذلك يعتبر

[1] – الرواية، ص26.

نفسه الآمر والناهي في حياتها، ويحاول إعادة تأهيل "فاطمة" ظنا منه بأنها لم تتلق التربية اللازمة من طرف والديها، وعلى الرغم من أحلامها البسيطة التي كانت تحاول تحقيقها في حياتها مثل: قراءة كتب الأدب والشعر ودراسة اللغة الفرنسية من أجل تحقيق طموحاتها، ولكن تجد أخيها "صقر" حاجزا أمامها وعائقا يمنعها من كل شيء من خلال مراقبته لها إذ تقول: "يفتش حقائبي بحجة البحث عن علكة، يتفحص هاتفي بحجة البحث عن رقم "هارديز"، وليراجع تاريخ تصفحي في الكمبيوتر ليتحقق من أنني لا أحيد عن صراط الفضيلة ولا أتحاور مع رجال في الفضاء السيبيري، وهو يقوم بحراسة شرفي، كالكلب تماما باستثناء أن الكلب أكثر محبة"[1].

وفي الرواية العديد من النماذج المماثلة لهذا الاقتباس والتي تعبر عن التسلّط والهيمنة

والرقابة المتشددة على "فاطمة" وتقول: "كان يتردد على غرفتي طوال الوقت بصفتي ابنته الجديدة التي يعتزم تصحيح اعتوارها، كما لو أنني أسيرة، كما لو أنه جلاد، يضعني تحت مجهر المراقبة لكي يتحقق من حسن جريان في هذه القنطرة الخرافية التي يقوم فيها بتأهيلي حتى أصير جديرة بجنته"[2].

نلاحظ أن الكاتبة ترسم لنا صورة كاريكاتورية ساخرة من النماذج المتشددة والمتسلطة، فـ"صقر" يعتبر نفسه ولي الأمر وطاعته واجبة فتقول في هذا الصدد: "صقر هو الأخ الكبير وولي الأمر، وطاعة ولي الأمر واجبة"[3]، فقراراته دائما صائبة اتجاه اخته كما يظن، فهذا التشدد جعله "يتعامل معي بصفته "ولي أمر" بمنطق جبري محض، فإذا كان الله تعالى هو

[1] – الرواية، ص65

[2] – المصدر نفسه، ص31

[3] – المصدر نفسه، ص42

الذي قرر أن يضعني في عنايته عندما دبر الحادث وقضى بوفاة والدي، فهذا يعني أنه يقوم بدور إلهي في تربيتي كان متخصصا في شؤوني، وكأنني هوايته الجديدة"[1].

يعتبر "صقر" حارسا وفيا للعادات والتقاليد، لذا نجد الرواية تغزو بصراعات وتصورات وأفكار متصادمة بين بطلة الرواية وأخيها المتشدد، واعتمدت في صراعها معه على لغة شعرية عنيفة وانفعالية لتعبر عن رغباتها المكبوتة وأحلامها البسيطة.

نجد أن معاناة فاطمة مع "صقر" متعددة الجوانب وكثيفة الطبقات، ونستنتج ذلك من خلال ما كانت تعانيه "، حيث سعى إلى حرمانها من قراءة الكتب الثقافية ودراسة اللغة الفرنسية التي يعتبر بأنها لغة الكفار، وتقول في هذا الصدد: "عندما لمح صقر كتاب اللغة الفرنسية في يدي، فيم أنا أهم بالانطلاق إلى المدرسة، انتزعه من يدي وهو يسأل مستنكرا: وش ذا؟ هذا كتاب فرنسي.

وليس بسلامتك مسجلة فرنسي؟

شفيها يعني؟

آخر عمرنا ندرس لغة الكفار ونهجر لغة القرآن؟

قالها وهو يفتح الكتاب بطرف أصابعه كما لو كان يمسك بمادة نجسة..." [2].

يعد هذا الحرمان نوعا من الوأد الثقافي، بحيث تُسلب فاطمة كل حقوقها المشروعة كحرمانها من اختيار توجهاتها الدراسية التي ترغب بها كالتسجيل في معهد الادب، ، فتقول: " كنت أريد الدراسة في كلية الآداب، ولو لم يتوف والدي لكان ذلك ممكنا"[3]، وكانت لا تنفك من المحاولة معه كي يسمح لها بمزاولة الدراسة في كلية الآداب ولكنه يرفض ذلك:

---

[1] – الرواية، ص42

[2] – المصدر نفسه، ص60

[3] –المصدر نفسه، ص70

"كلية آداب ما فيه، عندك حل من اثنين تدرسين في كلية البنات أو كلية الشريعة، ما عندي بنات يداومون في كليات مختلطة، ولا إنثبري في البيت ونطري المقرود اللّي يرضى فيك"[1].

من خلال ما سبق نجد أن "صقر" يمثل دور الرجل المتسلّط والقوي الذي لا يمكن لأحد أن يتجاوز حدوده معه، فيرى نفسه الوحيد الذي يأمر وينهى وطاعة أوامره واجبة على الجميع دون اعتراض.

ب- سلطة الزوج:

لا يوجد هناك أسوء من علاقة زوجية يحكمها التسلّط، فالتسلّط من أصعب المعضلات التي تؤدي الى تدمير العلاقة بين الزوجين، فالمتسلّط لا ينفذ إلا ما يؤمن به أو يعتقده، وهذا ما لاحظناه في رواية "كبرت ونسيت أن أنسى" من خلال تسلّط "فارس" على "فاطمة"، فهو الذي يحكمها ويأمرها وينهيها بل يحرمها من حقوقها.

تنتقل "فاطمة" بطلة الرواية من وصاية أخيها "صقر" إلى وصاية زوجها "فارس"، فتجد نفسها محولة من سرداب إلى آخر، فقد كان "فارس" نسخة طبقة الأصل عن "صقر"، تقول "فاطمة" "لفارس": "أنت في الحقيقة لا تختلف عن صقر"[2]، لأنه حرمها من كل شيء، وجردها من أحلامها وحقوقها وحتى رغبتها الوحيدة والتي تتمثل في كتابة الشعر، فتجده عائقا لأنه يرفض ذلك باستثناء كتابتها تحت اسم مستعار وهذا ما ترفضه فاطمة جملة وتفصيلا فيقول: "يمكنك كتابة ذلك تحت اسم مستعار"[3].

[1] – الرواية، ص72.

[2] – المصدر نفسه، ص206.

[3] – المصدر نفسه، ص210.

يعتبر "فارس" كتابة الشعر فضيحة عظمى في حق الدين والاعراف ولكن سمح لها بالكتابة وفق ضوابطه وقوانينه فيقول: "لا مانع أن تكتبي في إطار الضوابط التي وضعتها لك"[1].

وتتمثل هذه الضوابط في إبقاء "فاطمة" لشعرها داخل دفاترها وأدراجها فتقول: "الضوابط أن تبقى نصوصي في أدراجي ودفاتري وأن أداري الفضيحة التي اسمها أنا"[2].

اعتبر زوجها كتابة الشعر ونشره عارا لأنه يحمل أحاسيسها وخلجات نفسها وكأنها بذلك تجعل من حياتها الشخصية صفحة عامة يطلع عليها الجميع، وهو حسبه نوع من الخضوع، فيقول: "كيف يتلقى الناس أمرا كهذا"[3].

سعى "فارس" إلى تحطيم "فاطمة" ووأدها معنويا بجعلها حبيسة الجدران مرة ثانية، ومنعها من ممارسة حقوقها في الحياة وتحقيق أحلامها التي ترغب بها والتي تراها جوهر حياتها، فهي تعتبر كتابة الشعر المنفذ الوحيد الذي يخلصها من سرداب أخيها "صقر" لكنها تجد زوجها "فارس" مشحونا بهواجس السيطرة المبالغ فيه والمماثلة لسلطة "صقر" تقول: "إنني لا أجد فرقا بين الوأد الذي تعرضت له في سرداب "صقر" وبين ما تفعله أنت عندما تقرأ قصائدي أعين متفحصة وتحاكم سطورها وتستجوبني عما قصدته بهذه الكلمة وتلك العبارة ثم تحبس النص في درجك"[4].

يعد "فارس" عبئا شديدا على نفسية "فاطمة" لأنها حبيسة سيطرته، فالحياة معه أشبه بالجحيم كونه يقتلها معنويا لا جسديا فهو يجمع بين لحظات الوجع واللذة في آن واحد، تقول

---

[1] – الرواية، ص210.

[2] – المصدر نفسه، ص210.

[3] – المصدر نفسه، ص210.

[4] – المصدر نفسه، ص210.

"فاطمة":" لقد كنت دميتك، كنت الضحية المثالية الملتبسة بين الوجع واللذة، بين الألم والحب، كان جسدي يرتعد تحت جناحك وأنا أجنح خارج منطق الأشياء"[1].

نجد أن "فارس" زوج متسلّط ومتشدد مقتنع فقط بأوامره التي يفرضها، ولا يلقي بالا لرغبات فاطمة.

2-2- السلطة الاجتماعية:

نجد أن الكاتبة لم تكتف فقط بالتطرق إلى السلطة الأسرية، بل نجدها تطرقت أيضا إلى السلطة الاجتماعية، فهي تذكر تسلّط المجتمع على المرأة بواسطة العادات والتقاليد والثقافة السائدة في المجتمع العربي على أن الذكر هو المسيطر الوحيد الذي يجب أن يحكم المرأة فيأمرها كما يشاء ويمنعها مما يشاء، ونلمس هذا في الكثير من المواقف التي تجلت من خلال الرواية، تقول الساردة: "كل شيء سبق وتقرر من أجلي، وكل ما علي فعله هو أن أتبع الإرشادات الصحيحة، لكي أفعل الأمر على النحو الصحيح"[2]، هنا يظهر التسلّط المطلق الممارس عليها بحيث أصبحت ملزمة بتطبيق الأوامر بدون اعتراض.

تناولت الرواية وضع الفتاة العربية التي تعاني من المجتمع البطريكي، وهو عبارة عن بوح من طرف هذه الاخيرة التي تدعى "فاطمة" والتي تم وأد أفكارها وحريتها من طرف المجتمع وبالأخص العائلة، فتحاول بذلك أن تتمرد على المجتمع وتخلق عالما خاصا بها لتخفف عن غربتها وسط أهلها، تقول: "لم يعد ممكنا في هذا العالم، أن يدرس المرء لغة جميلة تشبه الموسيقى، كالجداول تغسل الروح... إنه ترف لا أستحقه وسألت نفسي: إذا كان ممكن للإنسان أن يسافر من خلال اللغة، كما سافرت أنا، وأنا أردد "لابلونش فلووووغ" إلى مقاهي باريس، شوارعها وأرصفتها وأزقتها المعتمة أيضا، إذا كان من الممكن للإنسان أن

[1] – الرواية، ص212.

[2] – المصدر نفسه، ص32.

يسافر، من خلال لغة أجنبية، فهل أستطيع أن أسافر من خلال لغتي الأم"[1]، تقول ذلك وهي تريد التخلص من قيود مجتمعها وذلك عبر لغة تتمنى أن تدرسها.

عالجت الرواية نظرة المجتمع العربي المتخلّف للمرأة، والمكانة التي تتمحور فيها كفرد من العائلة، وذلك حين يكون الرجل هو المتسلّط والمتحكم في أمورها، وحين يعتبر نفسه هو المتجبّر والمضطهد، وهو الآمر والناهي، وكل هذا ينتج من خلال تقديس المجتمع للرجل، بحيث يفرض هذا الأخير سلطته وسطوته على المرأة فيجعلها كائنا مهمشا داخل الأسرة وتصرح "فاطمة" بذلك وتقول:

"كنت عاجزة على أن أكون، أن أكون وحسب، وأن أمشي في أرض الله دون أن أشعر بأن العالم سوف يقوم بافتراسي، ولهذا فأنا أسبقه خطوتين، في كل مرة، من خلال قتلي مجازا، ودفني مجازا، والوقوف على قبري مجازا، وتشييعي بالورود مجازا"[2]، فساهم المجتمع بقتلها معنويا وسعى إلى تفتيت أحلامها وتجريدها من معظم تفاصيلها في الحياة.

يعتبر هذا التقديس للرجل ونظرة المجتمع بالدونية والتهميش والتحقير للمرأة، والمعاملة السيئة لها هي ظاهرة ذكورية تشترك فيها جميع الثقافات والأديان ذات النظام الاجتماعي الأبوي، فدور المرأة في المجتمع كان تحت سلطة الذكور، ويظهر ذلك من خلال الرواية في عدة مواضيع حيث يقوم "صقر" بتربية أخته تحت ذريعة الدين، وحينا آخر تحت ذريعة العادات والتقاليد، بممارسة العنف عليها، حيث يرى أن في حياتها السابقة نوع من الانتقالات والحرية التي لا يجب أن تكون لمن هم في سنها، ليقمع فيها شخصيتها ومعنوياتها ومن ثم يقوم بتزويجها ليتخلص منها، تقول: "أنا ذبيحة العرس الهزيلة"[3].

---

[1] – الرواية، ص62.

[2] – المصدر نفسه، ص65.

[3] – المصدر نفسه، ص21

يعتبر الزواج مقدسا في كل المجتمعات، والمجتمع العربي خاصة، فنجد أن المجتمعات العربية محافظة على العادات والتقاليد ومراسم العلاقة بين الرجل والمرأة التي لا تكون إلا بالزواج، فالكاتبة تطرقت إلى ذكر هذا العنصر من خلال زواج "فاطمة" التي نجدها تسرد لنا أحداث زفافها وزواجها من "فارس" الذي اختاره لها أخوها لتتزوج به رغما عنها دون إرادتها، تقول:

"لم أكن راغبة بالتعرف على الرجل الذي صار زوجي، ولا بهدهدة رعية من الطريقة التي تم فيها الزفاف، عندما تم دفعي إليه باليد الغليظة لأخي الكبير"[1]، على الرغم من أن "فاطمة" كانت تريد أن تحقق أحلامها وأحلام أمها وما قالته لها قبل موتها تقول:

"قالت لي إذا تزوجتي ستزينين شعرك بالطريقة نفسها، ثم ستفعلين الشيء نفسه لابنتك، وسيصير ذلك تقليدا عائليا"[2]، لكن "صقر" حطم كل أحلام "فاطمة" وفتتها بين يديه على الرغم من أنها صغيرة.

بقيت "فاطمة" تحت وصاية "صقر" وهي فتاة صغيرة ليحطم أفكارها وطموحاتها ويزوجها بالطريقة التي يراها مناسبة لها – في اعتقاده– ويرمي بها لرجل آخر، ويمنعها من الزواج بالطريقة التي ترغب بها، تقول: "لو تعلم أمي كيف تزوجت، دون أن ينتبه أحد، كما لو كانوا يستترون علي فضيحة، لو تعلم أيضا بأنني عقيم كأرض بوار، لم أنجب ابنة ولا ابنا ولا حتى نصف ابن، أتساءل كيف كانت لتشعر؟"[3].

كان هذا الزواج تجسيدا للعقلية البطريكية التي تسعى إلى قمع المرأة ومصادرة حقها في اتخاذ قراراتها الخاصة، قرار الدراسة، قرار العمل، وأخيرا قرار الزواج.

---

[1] – الرواية، ص20

[2] – المصدر نفسه، ص29.

[3] – المصدر نفسه، ص41.

2-3- السلطة الدينية:

تعد رواية "كبرت ونسيت أن أنسى" إحدى أهم الروايات الحديثة التي تناقش قضية الحقوق التي حرمت منها المرأة بحجة الدين، والعادات والتقاليد، وفي هذا العنصر سنسلّط الضوء على الجانب الديني الذي يعتبره "صقرا" الطريق الذي سيسلكه في تصحيح أخطاء أخته "فاطمة".

يطغى هذا النوع من التسلّط على معظم الرواية ذلك أن "صقر" يعتبر نفسه رجل دين، فهو رمز الثقافة الدينية المتشددة، لا نجد "صقر" من خلال الرواية متسامحا مع أخته بقدر ما تسامح الدين معها، تقول: "بقدر ما هيمن الدين على عالمي، بقدر ما بدا الدين متعذرا"[1]، فقد كانت كل مواعظه وفتاويه تساهم في تفتيت "فاطمة"، تقول: "كانت جل مواعظ صقر تصب في مشروع تفتيتي"[2]، فيبدو جليا أن الدين متسامح مع "فاطمة" بعكس أخيها الذي لم يكن متسامحا معها، ويستخدم الدين كحجة في تفتيتها.

يتبين لنا من خلال الرواية أن "صقر" يفرض قوانين صارمة على أخته المهزومة، وأضحى يحلل ويحرم تبعا لأهوائه الشخصية فغدا الحلال حراما، والحرام حلالا فهو الحاكم بأمره و الآمر والناهي، وكذا الناطق باسم الدين في التحليل والتحريم، ويفرض سطوته على من حوله، فكانت "فاطمة" هي الفريسة الأولى له، لأنه المسؤول الوحيد عنها، أخذ يحرم كل شيء عليها مثل: "سماع الموسيقى، شراء الباربي، تزيين المناضد بالصور الفوتوغرافية، الاحتفال بأعياد الميلاد، حضور الأعراس في الفنادق"[3].

---

[1] – الرواية، ص43.

[2] – المصدر نفسه، ص31.

[3] – المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

نرى أن الأخ يفرض قراراته وآراءه الدينية فيحرم الموسيقى واقتناء الدمى، ويمنعها من حضور الأعراس في الفنادق دون دليل يذكر.

نجد أن الأخ هو المسيطر الوحيد على أخته خاصة عند غياب الوالدين، فهو بذلك يجد حرية تامة في فرض حكمه وسلطته على أخته، فيستخدم الدين كسلاح للنجاة أو لفرض قوانين صارمة يجب تطبيقها، فيأمر بفعل أشياء وينهى عن فعل أشياء أخرى– كما يريد– وكل ذلك باسم الدين الذي يستغله بأبشع صوره، والقمع العلني هو المنهج الذي يتبعه صقر من خلال هذه الرواية، والدليل على ذلك قول "فاطمة":

"لا أعلك اللبان في مكان عام، لا أجلس في المطاعم إلا في الكابينة العائلية، لا ألبس البنطالونات، لا أسمع الموسيقى، لا أتفرج على الأفلام، لا أقتني كتبا لا تنفع، لا أجلس وحيدة، لا أذهب إلى صالون التجميل، لا أزور بيوتا بعينها، الأصل في الأمور المنع والإباحة هي استثناء"[1].

سعى "صقر" إلى تحريم كل شيء عن "فاطمة" "كالأكل في المطاعم ومشاهدة الأفلام ولبس السروال وحتى الذهاب إلى صالون التجميل...، بالإضافة الى رميه لألعابها كالدمى والباربي "لأنها صور تمنع دخول الملائكة وخاصة باربي الفاجرة التي تزرع أفكارا فاسقة في عقول البنات"[2].

نجد أن "صقر" مشحونا بهواجس السيطرة ومقتنعا بأن الحقيقة قابعة فقط في فكره فلا ينبغي لفاطمة أن تخالفه في قراراته، بل يجب عليها فقط أن تمتثل لأوامره، وتفعل الأشياء التي يرضى بها، تقول "فاطمة":

---

[1] – الرواية، ص26

[2] – المصدر نفسه، ص55

"ممنوع أن أشتري شرابا مثلجا أحمر لكي لا تحمر شفتاي ولساني، ممنوع ركوب الحصان، ممنوع الركض والهرولة أمام الرجال، الصراخ ممنوع"[1]، وكل هذه الأشياء التي حرمها عليها إن لم انقاد لها فاطمة وتتخذها كإجراءات وقوانين تسير عليها يعتدي عليها بالضرب والشتم والسب أمام الجميع، تقول "فاطمة": "ارتدت الضحكات إلى داخلي مثل سكاكين تحت وطأة الشتائم التي يصفها في وجهي"[2]، بحيث نعتها بالحيوانة والكلبة أمام الجميع "يا حيوانة، يا كلبة، قالها أمام الناس، أمام الجميع، عندما يغضب صقر ينسى مسواكه ولحيته ويشرع في السب ليه تصرخين يا حيوانة؟ ... أضربك بالنعال حتى تتأدبين؟"[3]، وهذا كله بمجرد صرخة بسيطة صرختها فاطمة في مدينة الملاهي.

سلطت الكاتبة الضوء على ظاهرة التشدد الديني التي قد تصل إلى حد الابتداع بالدين، ذلك التشدد الواضح الذي تضطر الأسرة لأن تتماشى معه رغما عنها، والخوف من رب المنزل عوضا من الخوف من الله، فالواقع الذي عاشته بطلة الرواية "فاطمة" واقع نعيشه يوميا، فصقر أخ متسلّط ومتشدد يحاول إصلاح ما يمكن إصلاحه من تربية غير سليمة وغير متوافقة مع الشرع الإسلامي– حسب رأيه– خلال ثلاثة عشر سنة كاملة.

نجد أن "صقر" يساهم في تفتيت "فاطمة" وتحطيمها، ويتبعها بقراراته الفوضوية والغير صائبة حتى يجعلها تقول:

"كنت متبعة من كوني أنا، غير مسموح لي أن أكون أنا، ولا أستطيع إلا أن أكون أنا، كنت متعبة ومنهكة ومنتهكة ولكنني لا أملك ترف الإحساس بتعبي"[4].

---

[1] – الرواية، ص55.

[2] – المصدر نفسه، ص55.

[3] – المصدر نفسه، ص43

[4] – المصدر نفسه، ص34.

تحاول "فاطمة" تصوير حياتها والمعاناة التي تعانيها مع أخيها صقر، فهي تتعرض معه لكل أنواع الظلم والعنف والقهر المنزلي تحت ستار الدين وتسرق منها طفولتها وأحلامها، وحقها في اختيار توجهاتها الدراسية وشريك حياتها.

يعد الأخر رمزا قويا للسلّطة الدينية في الرواية، حيث تمثل على شكل صورة الإمام والشيخ المفتي، بل صورة الإله الذي يحرم ويحلل، وإذا لم تمتثل لأوامره تتعرض للعقاب الشديد في أشكال مختلفة كالبزاق والضرب والسب...إلخ.

3- أشكال التمرّد الأنثوي في الرواية:

يعتبر الدين والعادات والتقاليد المحافظة، الركيزة الأساس التي يبنى عليها المجتمع العربي بل هي النظام الرئيس الذي يسيطر على علاقاته ويحركها منذ القدم، وتمس بالدرجة الأولى حياة المرأة، فالأخلاق العالية والمعاملة الحسنة والحياء والطهارة والشّرف خاصة، هي صفات يجب على كل امرأة أن تتحلى بها، وكذا الرضوخ للرجل بطمس هويتها والذوبان بشخصيته وجعله الأمر والناهي في حياتها، هي عنوان المرأة المثالية التي سيحتفي بها المجتمع ومن تتجرأ على العصيان والثورة في وجه الذكر سينظر لها بمنظار الانحطاط وتوضع ضمن فئة المتمردين ويحكم عليها بالفساد الأخلاقي وتطبّق عليها أبشع العقوبات بل أقصاها.

أما بالنسبة للرّجل فهو من سنّ هذا الناموس لصالحه والظالم للمرأة، فيكون ذلك الأب الأخ الزوج الذي يسمع ويطاع دون نقاش، وهذا ما صورته بعض الروايات العربية كرواية "كبرت ونسيت أن أنسى" للروائية "بثينة العيسى" فنجد الرواية تجسّد واقع المجتمع العربي ونمط الحياة الأسرية وقواعدها التي تمرّدت عليها المرأة بكل جرأة عازمة على ضرب العادات والتقاليد المجحفة بعرض الحائط، وبالفعل نجحت في ذلك وصنعت مجدها واسترجعت هويتها المفقودة واستطاعت كسر باب مراسيم المجتمع، فإذا تحدّثنا عن التمرّد

في الرواية السالفة الذكر نجده يأخذ منحنيين فتارة يكون ايجابيا لأنّه حقّ مشروع غايته التحرّر من قيود، وتارة يكون سلبيا لأنّه يمس بتعاليم الدين الإسلامي ويمكن تقسيمه إلى ثلاثة أقسام: تمرد على السلطة الأسرية والسلطة الدينية وكذا السلطة الاجتماعية، وسنحاول في هذا الجزء التوقف عند أهم هذه الأشكال التي تجلّت في الرواية.

3-1- التمرد على السلطة الأسرية:

يعدّ التّمرد على الأسرة أصعب وأخطر خطوة قد يقوم بها الفرد وخاصة المرأة، لما تعود عليها من أضرار جسيمة في حياتها اليومية.

أ- التمرّد على سلطة الأخ:

أسهبت الساردة "فاطمة" في الحديث عن أخيها "صقر" الغير شقيق، واصفة إياه بالجلاد والحيوان "يقوم على حراسة شرفي كالكلب تماما، باستثناء أن الكلب أكثر محبة"[1]، وهو رمز للثقافة الأبوية الدينية المتشدّدة، ذلك أنّه يمارس سلطته عليها باعتباره ممثلا للمؤسسة العقابية الرّقابية المسؤولة عن حماية الأسرة فكان يلعب دور المصلح والمقوّم لاعوجاج أخته التي كانت ابسط أحلامها أن تعيش حياة خالية من التعقيدات، كقريناتها من البنات اللواتي يمارسن حياتهن بشكل عادي كأن يقرأن كتبا ويشاهدن التلفاز "لا أتفرج الأفلام، لا أقتني كتبا، لا أجلس وحيدة لا أذهب إلى صالون التجميل.. الأصل في الأمور المنع والإباحة"[2]، اعتبرت "فاطمة" أخاها لعنة نزلت على حياتها لتبعثر أيامها فقالت "وهو الأخ الأكبر المسلط على حياتي مثل لعنة"[3]، لأنّه ببساطة من أشباه الملتزمين الذين لا يظهر التزامهم، إلا شكلا وصورة، بينما أفعالهم توحي بكمية الشّر المتأجج في باطنهم،

[1] – الرواية، ص67.

[2]– المصدر نفسه، ص32.

[3] – المصدر نفسه، ص33.

فقالت بكل أسى "سوف يهتم بي إلى حدّ تفتيتي من الداخل"[1]، وهذا جاء على خلفية العنف الذي تتعرض له من طرف أخيها المتفنن في قتلها معنويا وإيذائها جسديا بالضرب المبرح على أتفه الزلات.

بالرغم من العذاب والبطش الذي عايشته الساردة تحت وطأة قوانين جمهورية الأخ، إلاّ أنها كانت تعمد إلى اللغة الهجومية والدفاعية في حواراتها معه مستعينة بآراء متينة وحجج قوية مصدرها القرآن والفلاسفة قائلة: "كان علي أن أتعلم... البحث عن أراء شرعية متعددة ومختلفة حتى صرت ناشطة في مجال الفتاوى، مجال البحث عن فرج ونوافذ للنفاذ إلى وجهات نظر تخالف السائد"[2] يبدو من كلامها أنّها كانت حريصة جدا على التثقف والمطالعة والاطلاع خصوصا على الكتب الدينية لتقيّم الحجة على أخيها وتهزمه إلا أنها كانت تفشل أمامه دوما لتسلطه ونرجسيته الشديدتين.

اعتاد الأخ تمزيق جُلّ كتبها التي لها علاقة بالشعر والأدب واللغات الأجنبية ففي إحدى جولاته التفتيشية لغرفتها وجدها تقرأ كتاب "سأم باريس لشارل بولدير"، فانقض عليه وانتزعه قصرا من بين يديها، لكنها واجهته بنبرة صوت يغلب عليها الضعف والخوف قائلة "القرآن مو حرام، القرآن يقول اقرأ"[3] ولكنه رد عليها باستخفاف قائلا بأنّ القرآن يكفيها ولا تحتاج لهرطقات الكفرة، فهاجمته بمقولة: «الحكمة ضالة المؤمن» رغم ذلك لم تفلح في تصدّيه لأنه يبدع في تظليلها، فأردف قائلا أن التخلف الذي تعيشه الأمة الإسلامية راجع إلى بعض شبابها اللاهث وراء هرطقات الكفار، فما كان لها إلا أن تتمرّد قهرا، فأصبحت تقوم بطباعة الكتب من الانترنت، وتغلفها بغلاف بلاستيكي شفاف وتضع عليها عناوين أخرى على شاكلة الإدارة وأنظمة الحاسوب، مقدمة في العلوم السياسية، لتستمر في القراءة

[1] – الرواية، ص20.

[2] – المصدر نفسه، . ص68.

[3] – المصدر نفسه، ص84.

دون أن يكتشف أخوها ذلك، فقالت في هذا الصدد: "لقد هزمت أخي الكبير !...لقد هزمته"[1]، وهنا تظهر نشوة الفرح والإحساس بالتفوق والنجاح على سلطة الأخ وتعصبه، كما لو أنّ لسان حالها يقول سأفعل ما أريده وما أتبناه من آراء بالنهاية هي حياتي وأنا سيدة القرار.

عشقت "فاطمة" الشعر وكانت تحلم بأن تصبح شاعرة يذاع صيتها، والشعر بالنسبة لها كان ذلك الوحش المتمرد الذي ينجح في إخراجها من سرداب القمع، وكان بمثابة الحصن الذي تحتمي وراءه من وصاية الأخ المتغطرس، فحالما همت بإخباره عن حبها الشديد للشعر، صدمها بقوله «الشعراء يتبعهم الغاوون»، فدججت أسلحتها متأهبة لمقارعة الحجة بالحجة وقالت له "في الحديث النبوي، إن من البيان لسحرا، وإن من الشعر لحكمة"[2]، فأنهى نقاشها قائلا بأن الحديث ضعيف لا يؤخذ به، وهذا دليل قاطع على ضعف معرفته بالدين وقلّة اطلاعه على أحكام الشريعة الإسلامية وعلى قوّة الحجة التي تمتلكها فاطمة والشعر لم يكن حراما قط، كما يقول الشافعي: "حسنه حسن، وقبيحة قبيح"[3] فالشعر الذي ينصر الحقّ ويؤيّده، ويهدم الباطل وأهله فهذا مطلوب ومشروع لأن الصحابة كانوا يتلفظون شعرا فلو كان حراما لكان أولى بالرسول صلى الله عليه وسلّم أن يحذّرهم ويحرّمه، ولكنه فعل العكس، وشجّعهم لأنّهم يناصرون الدين الحقّ كأمثال: حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحه، أما إذا كان يذم الحق ويمدح الفساد ويدعو إلى الفجور كشعر اللهو والمجون فإنه محرّم ومناف لما جاء في الشرع.

أعلنت "فاطمة" المواجهة ولم ترض بالاستسلام، فكتبت قصيدة ولكنها لم تكتبها على ورقة بيضاء مثلما يفعل الشعراء والهاوون، إنّما خطّتها أناملها على قاع علبة الكلينيكس حفاظا على هذا الكائن الصغير الهش والقابل للكسر "يجب أن أحمي هذا الكائن... لن

---

[1] – الرواية، ص85.

[2] – المصدر نفسه، ص73.

[3] – ابن باز، ما الحكم الشرعي في الشعر والشعراء. Bin baz.ong.8a

أسمح بأن يأتيني بفتوى أخرى تحرم كتابة الشّعر... لا يمكن أن أسمح بحدوث الأمر، أن يصادر الشيء الوحيد الذي تبقى لي"[1]، هنا يبدو جليا ذلك الرفض والاستنكار الذي تظهره "فاطمة" اتجاه أخيها، وقرّرت حماية هوايتها من أخيها قبل أن يدنسها بأفكاره المتخلفة وعلاوة على ذلك، وضعت اللغة والشعر بمكانة الأم قائلة: "فإذا كانت أمي قد ماتت، فإنّ اللغة أم أيضا وهي تمنحني ولادات كثيرة... كانت اللغة هي كل شيء"[2]، وكردّ فعل من قبلها قرّرت الدخول والانخراط في ناد للقراءة كي تحسن لغتها أكثر، كما وأنّها كانت تقصد المكتبة لتطالع الكتب عوض ارتياد الجامعة، كل هذا فعلته سرا على أخيها الظالم كي تتجنب رفضه اللاذع وموقفه المتشدد ضدها.

أخيرا بعدما نجحت "فاطمة" في الخروج من زنزانتي الأخ والزوج بدأت الحياة تبتسم لها، فارتأى لها أن تزور أخاها، لتنفجر في وجهه وشاءت الأقدار أن تجده مرميا على فراش المرض وقد أصابه العمى، فقرّرت أن تسامحه وتقتله غيضا، ولكنه ما يزال ظالما وقبيح اللّسان ولا يزال يسقط اللّوم عليها بحجة أنّه كان يريد إصلاحها وتقويمها وتربيتها تربية سليمة فقالت له: "لا داعي لأن تختبئ خلف لحيتك لأنني أراك جيدًا من هنا"[3]، وبدأت بتوجيه وابل من التهم له مما جعله يطردها، فختمت كلامها قائلة: "سوف أخرج... سوف أعمل صحفية، سوف أكتب الكثير من القصائد لقد استعدت حياتي وأنت لم تنتصر"[4]، وهذه العبارة تبين انتقال فاطمة من تمردها السري إلى التّمرد العلني مصرحة أمام مسامع أخيها القامع بأنّها ستعيش أحلامها وأنّها تتلذذ بانتصارها عليه، بينما انقلبت عليه الموازين وأضحى يتعذب جراء ما فعله بها من تعذيب نفسي وجسدي.

---

[1] – الرواية، ص65.

[2] – المصدر نفسه، ص79.

[3] – المصدر نفسه، ص236.

[4] – المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

ب- التمرّد على سلطة الزوج:

يعدّ زوج فاطمة "فارس" امتدادا للعقلية البطريركية دون اتكاء على المقدس، أي حريصا كل الحرص على تطبيق العادات والتقاليد، ويهتم بشكل مبالغ بنظرة المجتمع له، وفي نفس الوقت لا يبدي اهتماما كبيرا للأحكام الشرعية كونه متفتحا ويعيش في بيئة متحضرة ومتفتحة فوصفته "فاطمة" بأنّه: "المجتمع كلّه، النظام، القانون، الاستمرارية للموازين المعتلة"[1]، إشارة منها على أنّه ذو شخصية مبنية على حب السيطرة والتسلط وأنّه مشبع بثقافة أفضلية الذكر على الأنثى.

بعد أن عاشت "فاطمة" مع زوجها تحت سقف واحد، أيقنت تماما بأنّها انتقلت من زنزانة لأخرى، فحتى زوجها حرمها من تحقيق أحلامها البسيطة، وكرد فعل منها اختارت أن تتحاشاه وتنفر منه: "أنا أدفن نفسي تحت اللحاف، وفي سبيل مزيد من الوقاية لففت اللحاف عليّ"[2]، تتحدث فاطمة عن زوجها كما لو أنّها تصف وحشا يترصّد بها، لذا أخذت تتهرب منه، وتمنعه بشتى الأعذار أن يقترب منها، كرفض قاطع لهذا الزواج عامة وللتسلّط خاصة.

عزمت أخيرا أن تطلق العنان لنفسها بتجسيد حلم الحرية وصياغته على أرض الواقع، فما كان لها إلا أن تهرب من بيت الزوجية، وتطلب الطلاق من زوجها عبر الخط قائلة "فأنت في الحقيقة لا تختلف عن صقر... أنا لن أعود، أعتقد بأن الحبل الملتف حول رقبتي قد ارتخى قليلا ولكنه ما زال هنا، وأنا أشعر به ولا يمكنني أن أتسامح مع وجوده أكثر، لا طلبات أريد الطلاق"[3]، وهذا يعني أنّها اكتفت من التحمّل وذاقت ذرعا من السراديب والقمع والإقصاء، وأنّها باتت مستعدة للتخلص من الحبل الذي يقيدها ككبش فداء، لهذا لم نرها

[1] – الرواية، ص222.

[2] – المصدر نفسه، ص25.

[3] – المصدر نفسه، ص209.

تقترح حلولا على زوجها بل أصرّت على الطلاق لأنه الحلّ الوحيد الذي ستبصر به نور الحرية.

بعد كل العناء الذي تكبدته "فاطمة" كسبت التحدي بجدارة واستحقاق وفي آخر لقاء لها مع زوجها الذي أبى الطلاق، هددته بالخلع "إذا لم تطلقني فسوف أخلعك"[1]، فاستسلم من فوره وأيقن بعدم جدوى مسايرتها لتغيير قرارها، لأنه يقف أمام أنثى شرسة لم تعد تعرف للوعود الكاذبة وللقمع سبيلا، في النهاية تلفظ بالطلاق ووعدها بأنّه آخر لقاء يجمعهما "أنت طالق، غدا أذهب إلى المحكمة وأثبت الطلاق"[2]، وهكذا تحرّرت "فاطمة" من سجن الزوجية

لتبدأ حياة جديدة لطالما حلمت بها، أن تكون ما تريد لا ما يريده الآخر.

3-2- التمرّد على السلطة الدينية:

صرحت "فاطمة" بشكل غير مباشر بأنّها ضاقت ذرعا من التديّن الذي يفرضه الأخ الأكبر عليها، وأن الحياة أصبحت مريرة جدا في عالمه قاصدة الدين الذي يطبقه هذا الأخير والذي أخذ يحلل ويحرم تبعا لمصالحه الشخصية، لا طبقا لما جاءت به الشريعة الإسلامية السمحة، فقالت: "بقدر ما هيمن التدين على عالمي بقدر ما بدا الدين متعذرا"[3]، أي أن الدين الحق الذي يحث على نشر الخير وعلى مكارم الأخلاق أصبح غريبا بالنسبة لها ولم تعد تعقل عليه منذ أن حجبه أخوها الملتزم بممارساته التعسفية والذي يزعم بأن ما يطبقه هو الدين بحذافره، ومن هنا اشتعلت شرارة الكره في قلبها وباتت تنظر للتدين بمنظار الحقد وهذا يظهر من خلال قولها "ولذا ينبغي عليه...أن يحضرني للقيام بدوري السماوي.. أن يجعل

[1] – الرواية، ص247.

[2] – المصدر نفسه، ص250.

[3] – المصدر نفسه، ص44.

مني زوجة صالحة، ودودا ولودا تنجب المزيد من الأطفال، بنيات يرتدين الحجاب منذ الرابعة... وأولاد يذهبون إلى مخيمات... يتباكون على سقوط الأندلس"[1].

تميّزت الساردة بطبعها العنيد الهاوي لخوض غمار التحدي، وبما أنّها عاشت اليُتم وكافلها جلاد، استحوذت عليها رغبة إيجاد صدر رحب يحتوي انكساراتها وكفا تربت على كتفها في حزنها، وهنا ارتسمت بوادر التمرد على الدين، بحيث أقدمت على مراسلة شاعر في مواقع التواصل الاجتماعي فقالت:" سوف أنتصر لي وأبعث برسالة له"[2]، وهذا فيه تعد لحدود الله فاتخاذ الأخدان محرم شرعا، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُم ۚ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ ۚ فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ ۚ وَأَن تَصْبِرُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٥﴾ ﴾[3]، ومع الأيام تطوّرت المراسلات لتصبح لقاء سريا وهنا تظهر كمية اللهفة التي تجتاح قلبها عند لقائه "جنّ قلبي برؤيتك أيها البعيد"[4]، ومع اللقاءات المتعاقبة نشأت بينهما قصة حب "هكذا التقينا مرارا وتكرارا.... نحترق في أطراف أصابعنا وفي أكبادنا ونمضي في غياهب التجربة"[5] نلمس في هذه العبارة كمية الأسى الذي أثقل روح فاطمة فرغم القرب إلا أنّه يستحيل أن يجتمعا يوما،

[1] – الرواية، ص33.

[2] – المصدر نفسه، ص950.

[3] – سورة النساء، الآية 25.

[4] – الرواية، ص135.

[5] – المصدر نفسه، ص141.

ولكنها استمرت في هذه العلاقة لشعورها بالارتياح وهي معه "إنّ أصابعي ترتاح بين أصابعه، إنّه يبدو راغبا بحمايتي، رؤوم مثل يقف شاسع مثل سماء"[1]، تصوّر لنا فاطمة من خلال مدحها لصديقها رغبتها الشديدة في البقاء معه لآخر نفس لها لكونها وجدت فيه الحب والسعادة والحضن الدافئ الذي حرمت منه وهي مع أخيها.

كل هذا التمرّد والانتفاض جعلها تقع في مصيدة يجرمها المجتمع وهي الحب، إلا إن عذرها الوحيد أنّها لم تجد في عائلتها ذلك القلب المحب لتجزع إليه في حزنها وخوفها، فوجدت في الغريب ما لم تجده في القريب.

3-3- التمرّد على السلطة الاجتماعية:

تمرد فاطمة على السلطة الاجتماعية كان حاضرا بقوة في بداية الرواية ونلمس ذلك من خلال قولها: "في ذلك اليوم الذي هربت فيه لأول مرّة، اشتريت ثمرتي المحرّمة، وجلست عند بوابة المدرسة، أدرت لها ظهري وأكلت نكاية بالناظرة والمدرسات، وأخي الكبير لقد ثأرت لي"[2] وهذا التصريح القوي جاء على خلفية منع الطالبات من تناول وجبات سريعة في الرصيف المقابل للمدرسة، ومن تجرّأت على كسر القوانين تعاقب بشدة "فقد كانت الاختصاصية الاجتماعية تنتظر انصراف آخر الطالبات... وجعلت مهمتها في الحياة هي التأكد من أننا لا نعبر...إلى المطعم"[3] وهذا يفسّر مدى قساوة الاختصاصية لدرجة منع البنات من تناول وجبة تسدّ رمق جوعهن؟ وتركهنّ جائعات بحجة عدم وجود أولياء أمورهنّ.

حرصت "فاطمة" على الانتقام من قسوة المجتمع وأخذت تتأثر بطريقتها بإعادة فعل كل الأمور التي حرمت منها سابقا كأن تتناول وجبة سريعة في الشارع بدون ولي أمر "خلال

[1] – الرواية، ص143.

[2] – المصدر نفسه، ص17.

[3] – المصدر نفسه، ص16.

دقائق كنت قد أكلت جبلا من الطعام الأمريكي البلاستيكي، أطفئ به رعبي"[1] وهذا دليل على الغضب الكامن في كيانها ومدى حرمانها من أمور عدة في طفولتها.

4- مراحل تشكل الذات الأنثوية المستقلة[2]:

تشكل الذات الأنثوية الممثلة بشخصية فاطمة في رواية "كبرت ونسيت أن أنسى" ذاتا مضطهدة خاضعة لأطوار من العذاب النفسي والجسدي، إلا أنّها تتسم بالتغير والتحوّل، فالأزمة التي عايشتها هذه الأخيرة خلقت لديها نوعا من الوعي والرغبة في التغيير والانعتاق، لأن الحرية بمفهومها الايجابي أن يكون الإنسان سيد نفسه لا عبد غيره هي حق مشروع وجزء لا يتجزأ من حياة وفكر كل شيء، فوحدها الحرية من تمنح الثقة والتوازن النفسي، وتضمن العيش بكرامة، كونها تدمر مصطلحات العبودية والذل التي تمس بقيمة الإنسان ووجوده.

مرت هذه الذات المشتتة والمهزومة بمرحلتين: مرحلة العجز والرضوخ ومرحلة الوعي والتيقظ وهما مرحلتان مثقلتان، بالمعاناة والانكسارات والتحديات، قبل أن تستقر في مرحلة أخيرة فاصلة وهي مرحلة الانعتاق لتكلل هذه الأخيرة بالحرية والنصر، وبموجبها تسترد هويتها المفقودة، وتعيد تشكيل ذاتها الأنثوية المستقلة بمعزل عن سلطة الآخر، وهذه المراحل مفصلة كالتالي:

4-1- مرحلة العجز والرضوخ:

أطلت الذات الأنثوية "فاطمة" في تشكيلها الأوّل عاجزة متقوقعة حول نفسها ترى وجودها بعين أخيها المتسلّط الناطق بلغة التدين والتشدد "وخلاصة الأمر أنه لم يكن

[1] . الرواية، ص17.

[2] . ينظر: ليندا عبد الرحمان عبيد، مقال: تحولات الذات الأنثوية في رواية (داريه)، دراسات العلوم الاجتماعية الإنسانية، المجلد 41، ملحق 2، 2014، ص177. (اقتبسنا فقط عناوين المراحل)

مسموحا لي أن أكون أنا، وكانت جل مواعظ "صقر" تصب في مشروع تفتيتي، في طمس اختلافاتي، كنت نعجة قاصية وموزة منقطة وناقصة في كل الأحوال"[1]، ورغم انتفاضها الداخلي إلا أنّها سرعان ما تتراجع "إنني لا أحد"[2] وهذا لعدم جدوى انفعالها أمام شخص يتسم بالعدوانية والنرجسية وأبدا لا يحتمل سماع أراء مخالفة له "فالإنسان الاضطهادي لا يستطيع أن يكتفي بإدانة ذاته، إنه بحاجة لإدانة الآخرين ووضع اللوم عليهم"[3] لهذا يستحيل مناقشتة أو حتى محاججته لشدة تعصبه وتمسكه برأيه ولو كان خاطئا.

تكتفي هذه الذات الأنثوية المهزومة بهمسات خافتة كتعليق أو اندهاش أو حوار داخلي منبعث من وعيها الباطني والذي يحثها بل يحرضها أحيانا على التغيير والانتقال من حالة الخضوع إلى اللا خضوع "هناك دائما ذلك الصوت اللئيم الذي ينبثق من أعماقك ويردد: ما كان عليّ أن أخطئ وأصير ضحية"[4]، ومع هذا تبقى في حالة سكون خارجي محاولة إخماد غضب الآخر "الأخ" والذوبان في عالمه لتخلص نفسها من التعذيب المعنوي والجسدي "هكذا قرّرت في محاولة للانسجام مع أخي الكبير أن أضع الحجاب على رأسي لأصير جزءا متناغما مع هذا الكل أن أقوم بما علي لأحصل على حصتي من الحنان"[5] وهنا تظهر فاطمة في كامل ضعفها سعيا منها لإرضاء المتسلّط.

[1] – الرواية، ص44.

[2] – المصدر نفسه، ص13.

[3] – مصطفى الحجازي، التخلف الاجتماعي، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء، المغرب، ط9، ص51.

[4] – المصدر نفسه، ص45.

[5] – المصدر نفسه، ص49.

4-2- مرحلة الوعي والتيقظ:

هي مرحلة وسطى بين حالة الرضوخ وحالة التمرد، وتكون حبلى بالصراعات النفسية والكبت الذي يأخذ بالخروج من باطن الذات على شكل انفعالات عنيفة وغضب مشحون بالرفض القاطع للحالة المأساوية المعاشة.

بداية شرعت هذه الذات الأنثوية " فاطمة" في تمردها السري على أخيها المتشدد بكتابة الشعر سرا "هكذا قرّرت، ومنذ قصيدتي الأولى أن أبقى الأمر سرا أن أجيد إخفاء أوراقي قبل أن يدنسها بمعرفته بها"[1]، كما وأنّها اختارت الذهاب يوميا إلى المكتبة ومطالعة الكتب عوض ارتياد الجامعة "كان علي أن أكذب أن أذهب إلى المكتبة وأخبره بأنني في الجامعة"[2]، ناهيك عن انضمامها السري لنادي قراء مختلط بدون علم الأخ ودخولها في قصة حب مع شاعرها وعن طريق المراسلة والالتقاء "التقينا عدة مرات، عصام وأنا، في مكتبة الجامعة بين أرفف كتب الشعر... تتلامس ركبنا أصابعنا أيضا، نهلك وننجو بنا"[3] رغم ذلك الانتفاض والتمرد السري الذي عمدت إليه هذه الذات إلا أنها انتصرت لمدة زمنية قصيرة جدا، فقد فضح الأخ تمردها وكان رد فعله عنيفا فقد عنفها وعذبها جسديا بالضرب المبرح كما وأنّه قام بتزويجها قصرا وهكذا قتل تطلعاتها وأحلامها جملة وتفصيلا.

اشتدت وتأججت رغبة هذه الذات المنتفضة في التحرر من الذكورية الطاغية وقررت الهروب من زوجها القامع واتهامه بالاضطهاد لمنعه إياها من تحقيق أحلامها البسيطة كالكتابة باسمها وتوليها منصبا مشرفا "لا أريد زوجة عاملة، لا أوافق أن تدرسي، كل ما تكتبينه يجب أن يبقى في الدرج"[4]، هذه هي الأسباب التي حفزتها للهروب من بيتها لأنها

---

[1] – الرواية، ص66.

[2] – المصدر نفسه، ص68.

[3] – المصدر نفسه، ص139.

[4] – المصدر نفسه، ص209.

حرمت من حقها الشرعي كامرأة، لم تكتف من الهروب بل تجرأت على زيارة أخيها القامع لتثور في وجهه قائلة "سوف أخرج بأذرع مفتوحة لأن حياتي سوف تبدأ بمجرّد مغادرتي لك، سوف أتطلّق من فارس، سوف أعمل صحفية، سوف أكتب الكثير من القصائد"[1]، وهكذا قطعت شوطا من المواجهة والتحدي.

أخيرا ثارت على زوجها وطالبته بالطلاق "طلقني... فأنا طلقتك منذ 14 يوما"[2]، أي أنها كانت قد أعلنت الحرية والتحرر منذ اليوم الذي هربت فيه.

4-3- مرحلة الانعتاق وإعادة تشكيل الذات الأنثوية المستقلة:

تبدأ فاطمة بإعادة تشكيل ذاتها المستقلة بعيدا عن قمع السلطة الأبوية والزوجية الذكورية بتهديد زوجها بالخلع ما جعله يطلقها بالتراضي "غدا أذهب إلى المحكمة وأثبت الطلاق"[3]، وهكذا نجحت في أول خطوات التحرر.

انتقلت هذه الأخيرة للعيش مع صديقاتها، وبدأت العمل كصحفية "خلعت قميصي وتمددت على بطني فوق الغطاء القطني لسرير غرفتي، هذه واحدة من العادات التي استحدثتها منذ بدأت العمل في الجريدة"[4] أي أنها استطاعت أن تستقل ماليا، وأصبحت تتقاضى راتبا لا بأس به والاهم أنها باتت تكتب باسمها لا أن تتخذ اسما مجهولا كما يريد زوجها أي أن تخفي هويتها مخافة الفضيحة.

---

[1] – الرواية، ص237.

[2] – المصدر نفسه، ص264.

[3] – المصدر نفسه، ص250.

[4] –المصدر نفسه، ص252.

مع مرور الأيام شرعت "فاطمة" في كتابة روايتها الأولى "أكتب كالمجنونة... روايتي الأولى... الحكاية المعاناة، رجل وامرأة، كثير من الذاكرة وقليل من النسيان باستثناء أن البطل في الحكاية ليس الرجل ولا المرأة ولا الذاكرة ولا النسيان، إنّه الشعر"[1]، وبهذا نجحت بصنع اسم لها في الساحة الأدبية وأكملت مشوارها في كتابة الشعر.

يتفاقم الإحساس بالحرية، من خلال الفن والحب في داخلها عندما التقت بحب حياتها عصام، وأخذا يتبادلان أطراف الحديث حول الشعر والكتابة وهنا تصل الذات الأنثوية إلى قمة تحررها بعد أن حقّقت كل أحلامها وأصبحت سيّدة نفسها وسيدة القرار، فحازت على الحب والشعر وكذا الاستقلال المادي والاستقرار المعنوي.

[1]– الرواية، ص259.

خاتمة

من خلال دراستنا لرواية "كبرت ونسيت أن أنسى" لاحظنا أنّ الرّوائية "بثينة وائل العيسى" تدعو بقوة إلى تحرير المرأة الناشئة وسط مجتمع ذكوري يتسلّط عليها ويقمعها ويسعى إلى حرمانها من حقوقها المشروعة تحت ستار الدين والعادات والتقاليد، بينما يمنح للرجل الحرّية المطلقة في التصرف والعيش، وهذا ما تستنكره الروائية فسعت بعملها الروائي هذا الى إسقاط هذه القيود المجحفة في حق الانثى.

وقد توصّلت الدّراسة إلى مجموعة من النتائج نجمّلها فيما يلي:

. إنّ أهم قضية تناولتها الكاتبة هي قضية قمع المرأة والتسلّط عليها من قبل الرّجل في المجتمع العربي، هادفة بذلك نقد هذا الأخير مع إسدال السّتار حول أشنع العقوبات التي يمارسها في حقّها متخفّيا وراء الدّين والاعراف.

. يتسلّط الرّجل على المرأة بصفته ولي أمرها حتى يجرّدها من إنسانيتها ويدمّر وجودها.

.تتفنن بعض النسوة في تبجيل دور الرجل ومنهن من تحولت الى وكيلة للنظام الابوي ساعية لضبط النساء الأُخريات ليطعن هذا الأخير.

. يسعى المجتمع العربي إلى قمع المرأة ووأدها ثقافيا بينما يعطي الحرّية المطلقة للرّجل.

.وجدت المرأة في السرد وسيلة تمثيلية غير مباشرة تسمح بالثورة في عالم يجرم حرية التعبير المباشر.

. أفرغت الكاتبة "بثينة وائل العيسى" جلّ مكبوتاتها على شكل شخصية مهزومة تحوّلت فيما بعد لذات مستقلّة، لتبيّن للعالم أنّ المرأة بإمكانها التّحرر والقضاء على صفة الذّكورة المتوارثة بين الأجيال.

. يتجلى التمرّد في ثنايا الرّوايات النّسوية على شكل شخصيات أنثوية تمثّل الدّور الانتقامي ضدّ الرّجل والمجتمع.

. أوضحت الكاتبة من خلال روايتها بأنّ الخضوع والسّكوت عن الظّلم هو في حدّ ذاته جرعة تحفيزية للظالم كي يتمادى في بطشه واستبداده، وأنّ المواجهة والوقوف في وجه هذا الأخير أفضل خطوة للانتصار عليه.

. تتميّز كتابات "بثينة وائل العيسى" بالقوة والجرأة في مواجهة المجتمع العربي الذي يسعى وراء اضطهاد المرأة وتهميشها.

وفي الأخير لا يسعنا إلاّ أن نقول أن رواية "كبرت ونسيت أن أنسى" تصب في قضية أساسية وهي كيفية الانتقال من حالة التسلّط الذكوري إلى حالة التمرّد الأنثوي لبلوغ الحرية وتشكيل ذات أنثوية مستقلة.

الملاحق

التعريف بالكاتبة:

بثينة وائل العيسى روائية كويتية من مواليد الثالث من سبتمبر عام 1982 حاصلة على شهادة الماجستير في إدارة الأعمال، تخصص تمويل، كلية الإدارية، جامعة الكويت 2010.

صدر لها:

. ارتطام لم يسمع له دوي (رواية) عن دار المدى سوريا، 2004م، وعن دار آفاق للنشر، الكويت2012م.

. سعار (رواية) عن مؤسسة العربية للدراسات والنّشر، بيروت 2005م.

. عروس المطر (رواية) عن المؤسسة العربية للدراسات والنّشر، بيروت 2006م، وعن الدار العربية للعلوم ناشرون بيروت 2012.

. تحت أقدام الأمهات (رواية)، عن الدّار العربية للعلوم 2009م.

. قيس وليلى والذئب (مجموعة نصوص) عن الدار العربية للعلوم 2012م.

. كبرت ونسين أن أنسى (رواية) عن الدّار العربية للعلوم 2013.

عضو في:

. رابطة الأدباء الكويتية.

. اتحاد الكتاب العرب.

الجوائز:

. حائزة على جائزة الدّولة التشجيعية عن روايتها "سعار" 2005/ 2006م.

. حائزة على المركز الأوّل في مسابقة هيئة الشّباب والرّياضة فرع القصّة القصيرة 2003م.

. حائزة على المركز الثّالث في مسابقة الشيخة باسمة الصباح، فرع القصّة القصيرة.

. حائزة على المركز الثالث في مسابقة مجلة الصدى.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية ورش بن نافع.

الأحاديث النبوية الشريفة.

- **المصادر**

1- بثينة وائل العيسى، كبرت ونسيت أن أنسى، دار العربية للعلوم، بيروت، لبنان، 2013.

- **المراجع**

أولا: الكتب

2-إبراهيم الحيدري، الهيمنة الذكورية في المجتمع والسلطة، شبكة الاقتصاديين العراقيين، دط، دت.

3- ألبير كامو، الإنسان المتمرد، تر: نهاد رضا، دار منشورات عويدات، بيروت، ط3، 1938.

4- جميل حمداوي، شعرية النص الموازي(عتبات النص الأدبي)، دار نشر المعرفة، الرباط، المغرب، 2014.

5- جون ستيوارت ميل، استعباد النساء، ترجمة وتعليق وتقديم إمام عبد الفتاح، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1998.

6- جون كروك شانك، ألبير كامو وأدب التمرد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1986.

7-سوزان عبد الله إدريس، مشكلة الإنسان في فكر ألبير كامو، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2017.

8- عبد الله محمد الغذامي، ثقافة الوهم (مقاربات حول المرأة والجسد واللغة، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1996.

9-فاطمة العتيق، لغة الشعر النسوي العربي المعاصر، عالم الكتب الحديث،، ط1، 2011.

10- مصطفى الحجازي، التخلف الاجتماعي، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء، المغرب، ط9، دت.

11- نازك الأعرجي، صوت الأنثى، دار الأهالي، د ط، دمشق ،1997.

12- نزيه أبو نظال، تمرد الأنثى، دار فارس للنشر والتوزيع، ط1، الأردن ،2004.

13- يوسف وغليسي، خطاب التأنيث، دراسة في الشعر النسوي الجزائري، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2013.

ثانيا: المعاجم

14- إبراهيم مصطفى أحمد حسن الزيان وآخرون، المعجم الوسيط، الجزء1، المكتبة الإسلامية للنشر، اسطنبول، تركيا، د ت.

15- ابن منظور، لسان العرب، الجزء1، مادة (أنث)، أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصديق العبيدي، ط3، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1999.

16- الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، مادة (م ر د)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003.

17- الزمخشري أبي القاسم جار الله، أساس البلاغة، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، تح: محمد باسل عيون السود، مادة (م ر د)، ج2، 1998.

18- الفيروز أبادي، فقاموس المحيط، مكتب تحقيق التراث، مؤسسة الرسالة، لبنان، ط2، 2005.

19- محمد عناني، المصطلحات الأدبية الحديثة، دراسة معجم إنجليزي، الشركة المصرية للنشر لونجمان، القاهرة، ط3، 2003.

ثالثا: المجلات

20- سناء الغندوري، مفهوم السلطة لدى المدرس وعلاقته بالقلق النفسي عند التلاميذ، المجلة الدولية التربوية المتخصصة، المجلد 3، العدد 12،جامعة محمد الخامس، كلية علوم التربية، الرياض، المحكمة المغربية، ، كانون الأول،2014.

21- علي أسعد وطفة، بين السلطة والتسلّط، دراسة تحليلية، مجلة الفكر السياسي، مجلة فكرية سياسية محكمة تصدر عن اتحاد الكتاب العرب، سوريا، العدد3، صيف 1998.

22- نادر القنة، إشكالية المصطلح في المسرح النسائي، مجلة البيان، العدد401، رابطة الأدباء، الكويت، ديسمبر 2003.

23- ليندا عبد الرحمان عبيد: تحولات الذات الأنثوية في رواية (دار له)، دراسات العلوم الاجتماعية الإنسانية، المجلد 41، ملحق 2، 2014.

خامسا: المراجع الإلكترونية

24- ابن باز، ما الحكم الشرعي في الشعر والشعراء. Bin baz.ong.8a 2020/12/19، على الساعة: 13:41.

25- التسلط والخضوع، علاقة المرأة بالرجل في المجتمع العراقي، على الموقع almadapaper.net، تم الاطلاع عليه بتاريخ 2020/10/05 على الساعة 8:00.

26- حسن الموسوي، هوس يحب السيطرة والتحكم، التسلط يقود إلى فقدان الثقة بالنفس وهدم القيم المجتمعيةwww.pjjet.edu.kw، 2020/12/17، 14:30.

27- خالد العضاض، المجتمع الذكوري العربي، الخميس، alwatan.com 2019/9/5، على الساعة 21:08.

28- سعاد ارفيس، ملامح التمرد في الرواية النسائية الجزائرية، رواية الممنوعة لمليكة مقدم، www.benhedouga.com، 21 جانفي 2021، 14:00.

29- سمية عبدة، المرأة العربية بين التخلف والتحرر، دار الآفاق الجديدة، ط1، https://middle-east-online.com. تم الاطلاع عليه بتاريخ 9/16/ 2020، على الساعة 16:38.

30- مفهوم التسلط في المعاجم العربية، معجم اللغة العربية المعاصرة، https://www.arab.dict.com، 2020/12/17، 13:30.

31- هدى الهرمي، المرأة العربية بين الهاجس والتحدي، الجمعة 2019/04/12، على الموقع middle.eastonline.com اطلع عليه في 2021/01/01، 12:00.

فهرس الموضوعات

مقدمة 1

الفصل الأول:

مفاهيم نظرية

1-مفهوم التسلّط لغة واصطلاحا 6

1-1-التسلّط لغة 6

1-2-التسلّط اصطلاحا 6

2-مفهوم الأنوثة لغة واصطلاحا 7

2-1-الأنوثة لغة.....7

2-2- الأنوثة اصطلاحا 8

3-مفهوم التمرّد لغة واصطلاحا 10

3-1- التمرّد لغة 10

3-2- التمرّد اصطلاحا: 11

4-مفهوم السلطة الذكورية 13

4-1- أسباب التسلّط الذكوري: 13

أ-الفهم الخاطئ للدين الإسلامي 13

ب- المجتمع الأبوي الذكوري: 15

ج- خضوع المرأة: 16

5-التمرّد الأنثوي في الرواية النسوية 18

5-1-مفهوم التمرّد الأنثوي 18

5-2- الأنوثة المتمردة في السرد النسوي العربي 18

الفصل الثّاني:

التسلّط الذكوري والتمرّد الأنثوي في رواية "كبرت ونسيت أن أنسى"

ملخص رواية "كبرت ونسيت أن أنسى" 22

1-سيميائية العنوان 22

2-مظاهر التسلّط الذكوري في رواية "كبرت ونسيت أن أنسى" 25

2-1- السلطة الأسرية 25

أ-سلطة الأخ..... 25

ب-سلطة الزوج: 30

2-2- السلطة الاجتماعية:..... 32

2-3- السلطة الدينية: 35

3-أشكال التمرّد الأنثوي في الرواية 38

3-1- التمرد على السلطة الأسرية: 39

أ-التمرّد على سلطة الأخ:..... 39

ب-التمرّد على سلطة الزوج: 43

3-2- التمرّد على السلطة الدينية:..... 44

3-3- التمرّد على السلطة الاجتماعية: 46

4-مراحل تشكل الذات الأنثوية المستقلة 47

4-1- مرحلة العجز والرضوخ: 47

4-2- مرحلة الوعي والتيقظ: 49

4-3- مرحلة الإنعتاق وإعادة تشكيل الذات الأنثوية المستقلة: 50

خاتمة 52

الملاحق 55

قائمة المصادر والمراجع..... 58

أولا: الكتب 59

خامسا: المراجع الإلكترونية..... 61

فهرس الموضوعات 63

ملخص:

إن الثقافة العربية ثقافة ذكورية، فنجد أن المجتمع العربي لم يعط للمرأة من الحرية والمكانة بقدر ما منحهما للرجل، فسعى إلى تهميشها وإحساسها بالدونية من خلال التسلّط عليها وتجريدها من كل حقوقها المشروعة باسم الدين والعادات والتقاليد، ولكن هذه الأخيرة سعت جاهدة لإبراز ذاتها فتمردت على المجتمع الذي قمعها، وأخذت على عاتقها مهمة التعبير عن ذاتها باللجوء إلى الكتابة للتعبير عن كل تطلعاتها ورغباتها المكبوتة ،فنجدها تتحدى المجتمع بنبرة حادة وتصرخ علنا في وجه الرجل الذي نجح في سلب حقوقها وحريتها.

وهذا ما تم طرحه من خلال رواية "كبرت ونسيت أن أنسى" لبثينة وائل العيسى التي عالجت قضية استعباد المرأة من طرف الذكر والمجتمع ووجوب إسقاط هذ الممارسات التعسفية ضدها.